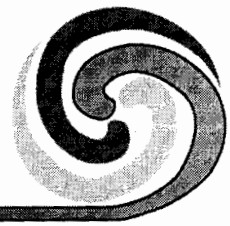

أوهام الذات الطائرة
مدخل إلى الباب الأول

★★ اختطاف على الورق :

فى عام ١٩٩٤ نشرت مجلة « أومنى» الأمريكية نتيجة آخر استفتاء قامت به عن عدد المختطفين من البشر من قبل كائنات قادمة من الفضاء البعيد . وقالت المجلة : إن عدة ملايين فى أنحاء الولايات المتحدة تعرضوا للاختطاف من قبل مخلوقات فضائية وصعد بعضهم إلى الفضاء داخل أطباق طائرة [١]. وفى نفس العام ذكر خبراء الأجسام الطائرة غير المعروفة أن واحداً من كل ٥٠ شخصاً فى بريطانيا تعرضوا لتجارب اختطاف مذهلة على أيدى هذه الكائنات الغريبة والحية فى الفضاء الخارجى [٢]. ومعنى هذا أن أكثر من ثلاثة ملايين شخص (مليون منهم فى بريطانيا) قد تعرضوا للاختطاف فى أطباق طائرة ، وأن الأطباق الطائرة قد هبطت أكثر من ثلاثة ملايين مرة فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ، وقامت خلال فترة قليلة باختطاف هذا الكم الهائل من البشر الذين عادوا إلى الأرض ليقصوا حكاياتهم حول اختطافهم فى أطباق طائرة ، فإذا أضفنا إلى هذا العدد نحو مليون حالة أو أقل قليلاً اختطفتها الكائنات الفضائية ولم تقم بإعادتها إلى الأرض وبالتالى لم تصل أصواتها إلى آذان الاستفتاءات الخاصة بحصر المختطفين فى الفضاء، وأضفنا أيضاً المختطفين من دول أوربية أخرى ، يكثر الحديث عن اختطاف الكائنات الفضائية لبعض سكانها كألمانيا وفرنسا والمجر والسويد ، لعرفنا أن الغرب قد أصبح مسرحاً نشطاً لسكان الكواكب الأخرى حيث تقوم الأطباق الطائرة برحلات متعددة جيئة وذهاباً دون أن يتمكن أحد من الإمساك بأحدها أو حتى إسقاطه .

والواقع أننا لو قارنا ما يحدث من اختطافات للسكان فى دولة كبريطانيا ـ يتساوى عدد سكانها مع مصر ـ مع ما يحدث من اختطافات للسكان فى مصر

(١) جريدة أخبار الحوادث عدد ٢ من نوفمبر ١٩٩٥ م .
(٢) جريدة أخبار الحوادث عدد ٣٠ من مارس ١٩٩٤ .

حيث لم يذكر أحد لدينا أنه اختطف من قبل كائن فضائى باستثناء الشاب الأسيوطى الذى ادعى أنه تعرض لإشعاع من إحدى المركبات الفضائية وأنه كان مادة للفحص من بعض المخلوقات الفضائية [1] لأدركنا أن فى الأمر بعض الخلل : فإما أننا فى مصر والعالم الثالث «ولا على بال» المخلوقات الفضائية وأننا لا نستحق منهم أى التفاتة ، وإما أن «فى بال سكان الغرب» بعض الخلل بحيث إن رحلات اختطاف الكائنات الفضائية لهم لم تتم إلا فى أذهانهم أو على الورق المنشورة عليه حكاياتهم ، وأن موضوع اختطاف السكان فى الغرب من قبل سكان الكواكب الأُخرى مجرد «أوهام ناس مرفهين»! والاحتمال الأخير هو الأقرب إلى الصواب لأنه لم يثبت بعد بالدليل المادى وجود سكان فى الفضاء يمكن أن نصبح «ولا على بالهم» . ولأن المباحث الفيدرالية الأمريكية ومباحث سكوتلاند يارد لم تشغلا باليهما بعد بالبحث عن الخاطفين المزعومين .

★★ متحف الأمراض النفسية :

ولكن كيف يستقيم مثل هذا الخلل الذهنى مع ما نعلمه من أن الإنسان فى الغرب من الفطنة والثقافة بحيث ينأى بنفسه بعيداً عن أمثال هذه الادعاءات؟

الواقع أننا يجب أن نطرح مسألة الثقافة جانباً ، لأن الأمراض النفسية والعصبية تصيب الجميع بمن فيهم الكثير من المثقفين ، ومن الملاحظ على الغرب عامة أنه رغم كل الرخاء والرفاهية التى يعيشها الإنسان هناك فإن الأمراض النفسية والعصبية هى أهم ما يعانيه ، والإحصائيات الصادرة عن دول الغرب ذاتها تشير إلى أنه يعانى أكبر نسبة جنون فى العالم ، وأن به أيضاً أكبر نسبة منتحرين بسبب هذا الجنون والأمراض النفسية التى تقود إليه، حيث تختص السويد والمجر وفنلندا والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا بأكبر نسبة منتحرين على مستوى العالم . ومن المعروف أن ٥٧٪ من مرضى الأعصاب ينتحرون ، و٢٠٪ من مرضى الاكتئاب ، و١٧٪ من الفصاميين يفعلون ذلك [2] .

أما عن عدد المصابين بالجنون والأمراض النفسية فى دول الغرب فحدث وبدون هلع ، ففى ألمانيا أثبتت دراسة أجراها اتحاد الأطباء النفسيين فى ألمانيا ، أن عدد

(١) جريدة أنباء أخميم عدد ديسمبر ١٩٩١ . (٢) مجلة أكتوبر عدد ٣١ من يوليو ١٩٩٤ .

المرضى النفسيين الذين تم تشخيص حالاتهم خلال الفترة من عام ١٩٨٦ إلى ١٩٩٠ قد بلغ أربعة ملايين ونصف المليون من بين الموظفين والعمال فقط [١] . وفى فرنسا كشفت دراسات وزارة الصحة الفرنسية أن أكثر من ١١ ٪ من الشعب الفرنسى يستهلك بصفة دورية ولمدة طويلة أدوية العلاج النفسى التى تؤثر مباشرة فى المخ [٢] . أما فى اليونان فقد أظهرت دراسة أعدتها جامعة أثينا أن ٣٣ ٪ من نساء اليونان و٢٠ ٪ من رجالها يتعرضون لمشاكل نفسية حادة وأن ١٠ ٪ من مجموع الشعب البريطانى يفكر فى الانتحار هروباً من هذه المشاكل . وأوضحت الدراسة أن ٣ ٪ من عدد السكان حاول الانتحار بالفعل [٣] . وفى بريطانيا أكدت دراسة أجراها بعض الباحثين والأطباء النفسيين البريطانيين أن هناك ما يقرب من خمسة ملايين فرد يعانون القلق والاكتئاب [٤] .

أما عن الولايات المتحدة محط اهتمام سكان الكواكب الأُخرى! ومسرح أحداث الاختطاف فى الأطباق الطائرة ، فقد أكد تقرير المعهد الوطنى للصحة العقلية فى أمريكا أن من بين كل خمسة أمريكيين هناك واحد مختل عقلياً [٥] .. ومما يجدر ذكره أن الولايات المتحدة تعتبر «متحفاً للأمراض النفسية» . ووفقاً لما يقوله البروفيسور «**أرنولد هارولت**» الأُستاذ بجامعة جورج واشنطن ، فإن تناقضات المجتمع الأمريكي أورثت كثيراً من المواطنين الأمريكيين أمراضاً نفسية متعددة ، بعضها ربما لا يوجد فى أماكن أخرى من العالم . والحقيقة أن النماذج المشوهة التى عرضها «**فرويد**» للأمراض النفسية كلها موجودة فى متحف الأمراض النفسية الذى هو المجتمع الأمريكى [٦] . هذا ومن المعروف أن الأمراض النفسية تنشأ بفعل مؤثر داخلى فى وقت يمكن أن يحدثها فيه مؤثر خارجى فيما يعرف بالإيحاء . وأن القلق والأمراض النفسية الأشد عنفاً منه تعمل على إيجاد أعراض لأمراض عضوية حقيقية كالصرع والعمى وآلام الظهر وأمراض الجهاز الهضمى وخصوصاً «القولون

(١) جريدة الأهرام عدد ٢٩ من مايو ١٩٩٣ .
(٢) جريدة الوفد عدد ٣ من مايو ١٩٩٤ .
(٣) جريدة الأهرام عدد ١١ من مايو ١٩٩٤ .
(٤) جريدة وطني ٩ من يناير ١٩٩٤ .
(٥) مجلة الجيل عدد يناير ١٩٨٥ ص ١٧ .
(٦) مجلة صباح الخير عدد ١٧ من مارس ١٩٩٤ ص ٢٦ .

العصبى» فيما يُعرف بالظاهرة «النفسجسمية» حيث ثبت أن ثُلث الأمراض الباطنية مصدرها نفسى .

فإذا كان الأمر كذلك ، وكان الغرب بؤرة للأمراض النفسية ، فإننا يجب أن لا نستبعد تأثير الأمراض النفسية فى الحالة الذهنية للغربيين بحيث يرى بعضهم أو يتصور أنه يرى أطباقاً طائرة أو يتخيل أنه اختطف من قبل سكان من الفضاء الخارجى وينقل دون حرج وبصدق حقيقة ما ظن أنه حدث بالفعل .

obeikandl.com

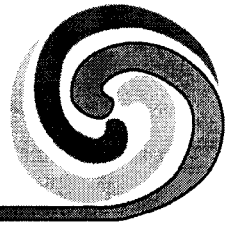

الفصل الأول

أوهام رواد الفضاء

★★ روايات هائلة :

ثمة سؤال تقليدى يطرأ على ذهن كل باحث لموضوع الأطباق الطائرة سواء كان مؤيداً أم معارضاً وبخاصة أننا قد دخلنا عصر الفضاء :

إذا كان وجود الأطباق الطائرة صحيحاً .. أليس من المحتمل أن يكون أحد ملاحى سفن الفضاء المنطلقة من الأرض قد صادفها فى إحدى الرحلات؟

دعاة وجود الأطباق الطائرة قدموا كل ما فى جعبتهم من روايات تثبت صحة حدوث الظاهرة من خلال المشاهدات التالية التى رآها رواد الفضاء وهم فى الفضاء :

ـ فى يوم ١٦ من مايو سنة ١٩٦٣ التقطت المركبة الفضائية (**ميركيرى**) وقائدها (**كوبرت**) فوق هاواى أصواتاً على موجة خاصة لم يفهم منها أى لغة هى ، ثم التقت المركبة فى أثناء مرورها فوق مدينة «**بيرث**» فى أُستراليا مع طبق طائر من بعيد ، شاهدته فى الوقت نفسه محطة متابعة أرضية .

ـ فى يوم ٣من يونيو سنة ١٩٦٤ كادت المركبة (**جيمنى/٤**) تصطدم فوق هاواى أيضاً بجسم أسطوانى فضى وتمكنت من تصويره .

ـ فى يوم ٤ من ديسمبر سنة ١٩٦٥ تمكنت المركبة (**جيمنى/٧**) من التقاط صور لطبق طائر هائل يعمل بنظام (الدفع النفاث) يتعقب الكبسولة .

ـ وفى سنة ١٩٦٥ شاهد رائد الفضاء (**جيمس ماكد يفيث**) ـ بينما هو يدور حول الأرض على ارتفاع نحو ١٦٠ كيلو متراً عن سطح الأرض ـ أجساماً دائرية ذات هوائيات بارزة ، وقد بدأ جيمس وزميله رائد الفضاء (إيدوايت) محاولة لتصوير هذه الأجسام ، غير أنهما انشغلا عن ذلك باقتراب الأجسام منهما ، وبخاصة أنهما لاحظا أنها ستصطدم بهما ، وبدأ بالتهيؤ لاتخاذ إجراءات جدية تمنع

الاصطدام حينما اختفت الأجسام كلها فجأة .

ـ وفى يوم ٣من يونيو سنة ١٩٦٦ لاحظ قائد السفينة الفضائية (**جيمنى/٩**) أن مخلوقات فضائية فى أكثر من طبق ترصد الكبسولة الفضائية منذ إقلاعها . وقد شاهد العاملون فى المحطة الأرضية هذه المخلوقات إلى جانب الكبسولة .

ـ وفى ١٨من يوليو من نفس العام ، تعقب طبقان طائران المركبة الفضائية (**جيمنى/١٠**) ثم اختفيا سريعاً ، حيث طلب قائدها (**يونج**) الملاحظة الأرضية ، وبعدها شوهد شئ ضخم فى السماء .

ـ فى الأيام ١٨ ـ ٢٦ من مايو سنة ١٩٦٩ رأت السفينة الفضائية (**أبوللو/١٠**) جسمين فضائيين يتعقبانها فى أثناء دورانها حول القمر ، ثم بعد اتخاذها مسار العودة إلى الوطن (الأرض) .

ـ فى ١٤ من نوفمبر ١٩٦٩ رصد برج المراقبة الأرضية جسمين فضائيين لامعين يتعقبان المركبة الفضائية (**أبوللو/١٢**) بالقرب من القمر ، ثم شوهد طبق طائر كبير يصدر أضواء حمراء مع اقتراب (أبوللو) من الأرض .

ـ وفى سنة ١٩٧٣ قام رواد الفضاء الثلاثة (**جاك لوزما**) و (**أوين جاريوت**) و(**آلان بين**) بتصوير طبق طائر أحمر اللون كان يراقبهم لمدة عشر دقائق ، بينما كانوا على ارتفاع ٤٠٠ كيلو متر فوق سطح الأرض ، يدورون فى الفضاء فى مدار (**سكاى لاب ٢ : المختبر الفضائى**) .

ـ تلك هى الروايات التى تم تجميعها من أخبار عن رواد الفضاء، ولتأكيد صحتها نستمع إلى قول من أكد عليها [١] :

«مع ملاحظة أنه من البدهى المتعارف عليه أن رواد الفضاء ، والذين يتابعونهم أشخاص مؤهلون فوق العادة ، ومشاهدون يتمتعون بقوة إبصار وحضور عقل فوق العادة ، وهم موضع ثقة واحترام ، وبالذات فى قضية الرؤية والهلاوس البصرية [٢].

(١) محمدعيسى داود : الخيوط الخفية ـ دار البشير للتوزيع والنشر – القاهرة ١٩٩٤ ص ١٣٤ – ١٣٧ .

(٢) م . س : وقد نقل الروايات السابقة ونص الفقرة أعلاه «زكريا القاضي ومحمد شلبي» في كتابهما «مثلث برمودا» دار الروضة – القاهرة ١٩٩٥ ص٣٦-٣٩ .

ووفقاً لما نقله أنيس منصور على لسان رواد الفضاء الأمريكان الذين شاركوا فى رحلة (**أبوللو/ سيوز**) فإنهم «لاحظوا وجود أجسام هلامية على شكل وميض سريع الحركة فى داخل السفينة ، وفى أثناء حركتها تتعطل كل العقول الالكترونية فى سفينة الفضاء وأنهم نقلوا هذا الذى شاهدوه إلى العلماء على الأرض ، ولكن العلماء الأمريكان لم يعلقوا على ذلك بشئ» . كما أن رواد الفضاء لم يفلحوا فى تصوير هذه الأشياء الطائرة ، وقالوا أيضاً: إنهم شاهدوا أجساماً فضية خاطفة الألوان تتابع السفينة وأحياناً تدور حولها وتسبقها ، وليست جسماً واحداً ولكن عددها كبير جداً .. بل إن بعض رواد الفضاء الأمريكان قد شاهدوا هذه الأجسام من سنوات طويلة ووصفوها بأن لها شكل العصفور ، وإن لم تكن لها أجنحة ، ولأنها تنطلق بسرعة هائلة كان من الصعب التأكد من ملامحها (١) .

ويقول أنيس منصور: إن مؤسسة الفضاء الأمريكية حجبت الكثير من الصور الغامضة ، لأنها لا تزال تحتاج إلى دراسة ، ففى الصور ظهرت أجسام أو كتل ضوئية حول السفينة وأحياناً فى داخلها ، ولا أحد يعرف لها مدلولاً ولا كيف جاءت ولا كيف دخلت .. ولا لماذا كلما ظهرت هذه الكرات الطائرة اهتزت السفينة كلها وتراقصت عقولها الالكترونية .. وهناك أصوات غريبة تتداخل مع الموجات الصوتية التى يبعث بها القمر الصناعى ، لا هى أصوات الرواد ولا هى أصوات محطات المتابعة الأرضية (٢) .

★★ دحض للصور :

تلك هى الروايات الهائلة والعظيمة التى سيصدق كل من يقرأها أو يستمع إليها صحة وجود الأطباق الطائرة ..

ولكن يجب ألا تمر هذه الروايات على القارئ مروراً عابراً دون أن يتوقف ليتفحص محتواها من جانب ، ويقارن ما احتوت عليه بما تنقله المراجع العلمية عن ظاهرة الأطباق الطائرة، من جانب آخر.

وأول ما يلاحظ على هذه القصص أنها «إما أن تكون نتيجة لسوء فهم الراوى ،

(١) جريدة الأهرام عدد ٢٩ من ديسمبر ١٩٩٣ .

(١) جريدة الأهرام عدد ١٦ من يوليو ١٩٩٢ .

وأما نتيجة لتحريف روايته ، وكثيراً ما تكون القصص مختلقة من أساسها ، إذ لا توجد حادثة تؤكد مصادفة أى من رجال الفضاء الأمريكيين أو السوفييت لشئ غير عادى حسب المفهوم العلمى للأحداث الفضائية . ولم يحدث أن قطعت الإذاعات أو أجهزة التلفاز برامجها لتعلن أن وكالة ناسا صورت أو التقطت صوراً لأطباق طائرة ، أو أن ملاحى الفضاء قد التقوا مع كائنات من الفضاء الخارجى (*) .

أما حكاية إخفاء هذه الصور أو حجبها رغم مرور أكثر من ثلاثة عقود على بدء برامج الفضاء وعلى التقاط معظمها ـ إن كان قد حدث ذلك فعلاً ـ فهى حكاية تحتاج إلى قولٍ ..

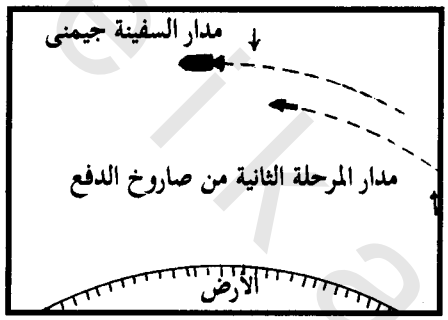

هكذا انخدع ماكديفيث فى المرحلة الثانية من صاروخ الدفع وظنها طبقاً طائراً

أما ثانى ما يلاحظ ، فهو أن القصة الشهيرة التى يتردد صداها والتى تروى أن رائد الفضاء **جيمس ماكديفيث** قد شاهد طبقاً طائراً فى أثناء رحلة جيمنى ٤ فى يونيو ١٩٦٥ حكاية غير صحيحة بالمفهوم العلمى . فجيمس قال : إنه شاهد جسماً أسطوانياً صغيراً يشبه علبة «صغيرة الحجم» ويصر على أن ذلك الجسم ليس إلا سفينة فضاء «من صنع الإنسان» .. ولكن المراقبين رفضوا هذا الرأى قائلين : إن ما شاهده ماكديفيث لم يكن إلا الضوء المنعكس من المرحلة الثانية من الصاروخ الذى دفع السفينة خارج الغلاف الأرضى وأن الصاروخ اتخذ مداراً قريباً من سفينة الفضاء (*) . وهى حالة تكررت من قبل عندما أعلنت «**فالنتينا**» – أول رائدة فضاء روسية ـ يوم ١٧ من يونيو ١٩٦٣ ، أن هنالك شيئاً يطاردها . لكن سرعان ما اكتشف الأمر ، فقد كان «**فاليرى بايكوفسكى**» قد استوى بسفينته فى مدار سفينتها وكان فاليرى قد سبقها بالسفينة بيومين (١) .

(*) مجلة الدوحة عدد ٣٨ – ص٨٢ – مقال خديجة الصدر : الأجسام الطائرة المجهولة .

(٢) أنيس منصور : الذين هبطوا من السماء . مقالات بجريدة الأهرام . وقد تجاوز أنيس منصور عن هذه الفقرة عندما ذكر في كتابه تحت نفس العنوان منشورات دار الشروق – القاهرة ١٩٨٣ – ط ١٠ ص١٩٣ .

ومما يجدر ذكره أنه عقب رحلة ماكد يفيث بوقت قصير وزعت الإدارة الوطنية للملاحة الجوية والفضاء صورة بها شكل يشبه اليرقة الصغيرة اختيرت من فيلم سينمائى .

ـ وتكاد تكون هذه الصورة هى الصورة الوحيدة التى نقلت عن رواد الفضاء وسفنهم على عكس ما تذكر مراجع الإثارة الإعلامية التى تنقل كلاماً دون أن تدعمه بالصور .

إن ماكديفيث نفسه أكد أنه لم يلمس الكاميرا السينمائية ، وإنما ـ على عكس ما قالت الروايات السابقة ـ استخدم آلتى تصوير فوتوغرافى ، ولم تظهر صورة واحدة من الأفلام التى التقطها . وقد قال خبير التصوير : إن شكل اليرقة هو الضوء المنعكس من نافذة السفينة الفضائية (١) .

★★ هلاوس الفضاء :

أما أهم ما يلاحظ على تلك الروايات الهائلة فهو أن محاولة إمرارها إلى عقل ووجدان القارئ من خلال القول بأن «رواد الفضاء» أشخاص مؤهلون فوق العادة ، ومشاهدون يتمتعون بقوة إبصار وحضور عقل فوق العادة ، وهم موضع ثقة واحترام وبالذات فى قضية الرؤية والهلاوس البصرية ، محاولة تنطوى على خدعة كبيرة ، وهى أشبه بدس السم فى العسل .. ففى عصر الفضاء الذى دخلته البشرية فى هذا القرن ظهر ما يعرف بطب الفضاء ، وهو فرع من الطب يعنى بالمشاكل الطبية التى تؤثر فى حياة رائد الفضاء ، ومدى أدائه فى أثناء الطيران وقدرته على القيام بوظيفته والإبقاء على حياته فوق الأجرام السماوية الأخرى ، ومن بين أهم الفوائد العامة التى اكتسبت فى هذا المجال الزيادة الكبيرة فى معرفة مدى ارتباط أداء أعضاء الجسم البشرية بالبيئة الأرضية ، وما يمكن أن يحدث من خلل واضطراب فى أداء تلك الأعضاء إذا ما تعرض الإنسان لظواهر مخالفة لما هو مألوف على الأرض .

وقد ثبت من التجارب التى أجريت على رواد الفضاء وهم على الأرض ـ فى جو شبيه بجو الفضاء ـ أن تأثير الفضاء فى الرواد كبير ، فقد انتهت التجارب ـ

(١) مجلة الدوحة عدد ٣٨ – ص ٨٢ .

رغم حُسن اختيار الرواد ودراسة كل شئ عن حياتهم وإمكانياتهم العقلية والجسدية ـ بجنون بعضهم ، كما حدث للكيميائى «**بوجيكو**» الذى دخل وزميلاه المهندس **اوليشيف** والطبيب **ماندمينسيف** فى تجربة «محاكى فضائى» استمرت من نوفمبر ١٩٦٧ حتى نوفمبر من العام التالى ، وأعلنت نتائجها عام ١٩٦٩ حيث تمخضت التجربة عن فقد المهندس أربعة كيلو جرامات من وزنه بينما أُصيب الكيميائى بلوثة عقلية وبقى الطبيب طبيعياً (١) .

ولنا أن نتصور كيف تكون وظائف الأعضاء تحت حالة انعدام الوزن ، فقلب رائد الفضاء يضخ الدم إلى كل الأطراف والأعضاء ، وفى غيبة الجاذبية الأرضية يضخ القلب مقادير متساوية إلى القدمين كمثل التى يضخها إلى المخ على خلاف ما يحدث على الأرض ، ولذلك فإن الدورة الدموية لرواد الفضاء يعتريها الكثير من التغيير، وبعد بدء الطيران الكونى يكون الإجهاد كله مركزاً على القلب ، ولذلك فإن بعض عضلات الرواد تتعرض لبعض الارتخاء بعد رحلات الفضاء الطويلة ، كما أن قلوبهم يصيبها بعض التضخم ، وفضلاً عن ذلك وجد أن نسبة ترسيب الكالسيوم فى عظامهم ينتابها بعض الخلل ، كما أن إفرازات الغدد فى أجسامهم تتعرض للكثير من التغيرات ، وطول أجسامهم أيضاً يتغير ويزداد طولاً بضعة سنتيمترات ، بل إن غياب الجاذبية الأرضية فى سفن الفضاء لا يعنى صعوبة الحركة وحدها لأن الأهم من ذلك أن السرعات العالية جداً التى تتحرك بها السفينة نفسها تشكل إجهاداً يقع على جسم رائد الفضاء ، ومع السرعة العالية تطرأ تغيرات فسيولوجية تحد من قدراته الذهنية والبدنية ، نظراً إلى اضطراب الدورة الدموية . ويتمثل ذلك فى تغيير أوضاع العينين واختلال نطاق السمع واضطرابات الإشارات المنعكسة إلى المخ ، فضلاً عن اختلال التوافق التلقائى لعضلات الجسم مع إشارات المخ (٢) .

وقد ثبت أن قوى التسارع التى يتعرض لها رائد الفضاء نتيجة تزايد معدل سرعات السفر ، تعرضه لإجهادات الجاذبية المعروفة بقوة (ج) . وتنجم عن إجهادات التسارع التى تصاحب القوة (ج) العالية تأثيرات فسيولوجية خاصة

(١) مقال م . سعد شعبان : رائد الفضاء.. كيف يأكل وينام ويستحم؟ـ الدوحة عدد ١٢٦ ص١١٩ .
(٢) المرجع السابق ص ١٢٠ .

تخالف الحالة الطبيعية لتصرف الإنسان إذ تؤثر فى الدورة الدموية ، وضغط الدم ، وأوضاع العينين ، بل وتؤثر فى قدرة الإبصار ومدى السمع ودقات القلب، وخلال وجود الرواد تحت وطأة القوة (ج) العالية يبدو اختلاف أسارير وجوههم ، فيكون كل واحد منهم منتفخ الأوداج جاحظ العينين . ويتعرض رائد الفضاء فى أثناء تأثره بالقوة (ج) لما يعرف بالخداع البصرى الجذبى ، وهى حالة يرى من خلالها رائد الفضاء الأجسام الثابتة وكأنها متحركة ، وكذلك يتأثر المسافر فى الفضاء بانعدام الوزن أو الجاذبية ، وهو حالة تنشأ من التعادل بين قوة جذب الأرض من ناحية والقوة الطاردة المركزية للمركبة الفضائية من ناحية أخرى . ويفقد رائد الفضاء الإحساس بما هو مألوف على الأرض عندما يتعرض لحالة انعدام الجاذبية ، وتتأثر رؤيته للأشياء كثيراً فى هذه الحالة .

وتنشأ عن تلك الأوضاع إجهادات نفسية للرواد ، وتمر بهم فى أثناء سفرهم أوقات تختلط فيها التهيؤات بالحقائق ويصاب بعضهم بالهلوسة ، وقد ظهرت هذه الحالة بوضوح على **الميجور جوردن كوبر** فى أثناء طيرانه طيراناً منخفض الجاذبية ضمن برنامج **ميركورى** فى مايو ١٩٦٣ حيث زعم أنه شاهد تفاصيل الموانىء والمنازل ، وأخذ يصفها وهو على ارتفاع ٥٠٠ر٠٠٠ قدم مدعياً رؤيتها بالعين المجردة ، وانتهى الأطباء إلى اكتشاف أنه أصيب بتوتر عصبى نتيجة لضغط الدم المنخفض الذى يصاحب تأثير انعدام الوزن (١) .

إن أحد أهم أعراض السفر فى الفضاء الخارجى هو دوخة السفر أو دوار الفضاء **Motion sickness** التى قد تعطل عمل حواس رواد الفضاء بشكل حرج وتؤثر فى مقدرتهم البدنية والذهنية ، وقد وجد أنها تصيب ما بين ٣٠ إلى ٥٠٪ من رواد الفضاء (٢) ، وغالباً ما تكون مصحوبة بدوار وقىء حيث تطفو محتويات الأمعاء فى غياب الجاذبية دوماً إلى أعلى . وقد يبدو علاج هذه الدوخة الفضائية على الأرض سهلاً ، لكن هناك بالقرب من النجوم فإن الأمر فى غاية الصعوبة لأن الأدوية التى تستعمل على الأرض بنجاح لعلاج هذه الحالة مثل الأدوية المضادة للاحتقان وأدوية دوخة السفر سيكون استعمالها خطيراً ، فالآثار الجانبية الضارة لهذه الأدوية ـ

(١) عبدالله بركات : هلوسة شديدة واختلاط الحقيقة بالخيال ، مقال بمجلة العلم عدد ٢١ ص٤٨ .
(٢) مجلة العلم عدد ٨٦ ص ٥٢ .

مثل الدوخة والترنح ـ لن يتسنى للرواد تجنبها فى الفضاء ، وسيكون التأثير الضار لهذه الأدوية رهيباً فى الفضاء ، إذ إن هذه الأدوية ستبطئ من استجابتهم العصبية، وهذا ما حدث بالفعل لرائد الفضاء الروسى «**فلاديمير شتالوف**» الذى تناول أحد الأدوية المضادة للاحتقان فقضى يومه فى شبه غيبوبة تامة (١) .

ويعتقد الأطباء أن أسباب حدوث دوخة السفر فى الفضاء تختلف عن مثيلتها على الأرض ، وتكمن فى التأثيرات التى تصيب الأذن الداخلية نتيجة الحركة بعد المرور إلى مرحلة انعدام الوزن ، أو ربما إلى التوازن الجديد الذى تتخذه سوائل الجسد فى غياب تأثير الجاذبية مما يؤثر فى «الحصية الأُذنية» **Otolith** وهى عظمة صغيرة داخل الأُذن مهمتها الإحساس بالتسارع ، وفى ظل التوازن الجديد للسوائل ، تمتلئ الجيوب الأنفية بالدماء بحيث يشعر المرء وكأنه مصاب بالتهاب شديد الوطأة فى الأنف ، ويجرى الدم وغيره من السوائل بحرية وبمعدل أكبر من ذلك الذى يحدث على سطح الأرض . وسرعة سريان الدم فى جسم رائد الفضاء الراقد فى مركبته تعادل سرعة سريان الدم فى جسد رياضى شاب يعدو بأقصى سرعته .. وجريان السوائل يخدع بيولوجية الجسم فيزيد من معدل تخلصه من ماء الجسم عن طريق التبول أو العرق الشديد ، ونتيجة لهذا فإن أنسجة الجسم تبدأ فى فقدان الماء **Dehydration** مما يجعل حجم البلازما يقل بمقدار عشرة بالمائة بعد أسبوعين فى الفضاء ، أما كريات الدم الحمراء التى تحمل الأوكسجين إلى بقية الجسد فحدث عنها ولا حرج ، إذ إنها تقل بمقدار ١٥ ٪ ويتغير شكلها وحجمها كما هو واضح بالصورة .

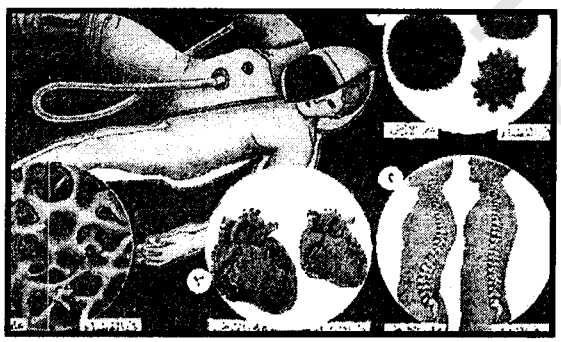

يعاني الإنسان عدة تغيرات في الفضاء :
١- الدم ٢- العمود الفقري
٣- القلب ٤- كالسيوم العظام

---

(١) هشام أبو عودة : طب الأرض هل يعالج أمراض الفضاء؟ مقال بمجلة «المجلة العربية عدد ٨٥ ص٤٨» .

★★ أطباق على القمر ! :

وقد لاحظ الروس أيضاً أن رواد الفضاء الذين بقوا فى الفضاء مدة طويلة زادت عندهم معدلات الحساسية وازدادت قابلية الرواد للإصابة بالأمراض التى تسببها البكتريا العنقودية والبكتريا العصوية ، مما حدا بالدكتور «**أنا تولى يورغوف**» إلى القول بأن ذلك يرجع إلى التغييرات التى طرأت على الجهاز المناعى ، وربما إلى توقف عمله لفترة مؤقتة ، وهذا هو أحد الأضرار الخطيرة الواضحة للسفر فى الفضاء لفترة طويلة .. أما الدكتور «**جوزيف ديجيوانى**» من مركز جونسون الفضائى فإنه يعتقد بأن التغير فى منسوب الهرمونات والخلايا اللمفاوية ينتج عن الضغط النفسى الذى يعانيه الرائد فى الفضاء [١] .

ومن الأمثلة على تعرض الرواد لأزمات نفسية عنيفة ،وبخاصة حالات الفزع والخوف والهذيان وحالات انعدام التركيز ، ما حدث لرائد الفضاء السوفيتى «**فارسيونين**» عام ١٩٨٥ عندما تصور أن نهاية العالم هى ما يعيشه الآن [٢] .

وحالة رائدى الفضاء الأمريكيين «**أرمسترونج**» و «**ألدرين**» حيث فقدا الشعور بإحساس العمق والإحساس بتقدير المسافات واستخدامات جدول الألوان المزودين به من الأرض لوصف الألوان التى حولهما عندما هبطا لأول مرة على سطح القمر[٣] .

والغريب أننا بعد كل هذا نجد من يخرج علينا قائلاً بأن :

«السفينة أبوللو ١١ التى أطلقت يوم ١٩٦٩/٧/١٦ وهبطت لأول مرة على سطح القمر ، وكان فيها الرواد «**أرمسترونج ، وتولنبير ،و ألدرين**» قد سجل روادها أنه قبل هبوطهم على سطح القمر لأول مرة ظهر جسمان مجهولان على شكل أسطوانى ، وحينما هبطت المركبة الفضائية على سطح القمر ظهرت أجسام أخرى مجهولة . واستطاع رائد الفضاء «ألدرين» أن يصور هذه الأجسام المجهولة ، ولكن حتى الآن لم يسمح بنشر هذه الصور ، وقد تم تسجيل الحوار التالى بين ألدرين ومركز المتابعة الأرضية فى وكالة ناسا يوم ١٩٦٩/٧/٢٠ :

(١) م . س ص ٤٩ .
(٢) جريدة الأهرام عدد ٢٣ من يونيو ١٩٩١ ص٥ .
(٣) مجلة العلم عدد ٢١٢ ، مرجع سابق ص٤٨ .

ألدرين : ما هذا .. يا إلهى .. ما هذا الذى أراه ؟.

المركز : ماذا ترى؟

ألدرين : أجساماً صحنية ، ربما لا تصدقون ما أقوله ، ولكنها الحقيقة .. هناك سفينة فضاء أُخرى حولنا .. هذه السفينة التى لا نعرف عنها شيئاً موجودة فعلاً على سطح القمر ، يبدو أنها تقوم بمراقبة كل خطواتنا» (١) .

ومع احترامنا لصحة ما سجله المركز ، فقد كان ألدرين ككل زملائه ، وكما سبق أن أوضحنا ، تحت تأثير دوخة الفضاء وفى حالة نفسية غير عادية باعتبار أنهم أول من ستطأ أقدامهم القمر ، وكان سؤال ولاشك يدور فى أذهانهم :

ـ هل نحن حقاً أول من يضع قدمه على القمر . أم أن سكاناً آخرين من كواكب مجهولة فعلوا ذلك؟ وإذا ما كانوا ، فهل مازالوا يفعلون؟ ، وإذا ما برحوا فهل سنراهم؟ ..

وقد كان طبيعياً جداً ، والأمر هكذا ، أن تتجسد الإجابات فى عقول بعضهم وأن يتصوروا أبناء كواكب أخرى فى سفينة فضائية وهم يراقبون خطواتهم . أما عن حكاية الصور التى التقطها ألدرين ، فالأغلب الأعم أنها لم تظهر شيئاً ، لذا فإنها لم تُنشر ، أو لعلها نُشرت ضمن ما نُشر من صور عن هذه الرحلة التاريخية بيد أنها لم تثر الاهتمام لعدم احتوائها على ما يمكن وصفه بجسم غريب مجهول . وحتى إذا افترضنا ـ مجرد افتراض ـ أن ألدرين صور أطباقاً طائرة قادمة من كواكب بعيدة فما مصلحة وكالة ناسا فى حجبها رغم مرور أكثر من ربع قرن على تصويرها؟! ومع ملاحظة أن العاملين فى وكالة ناسا ـ ممن يمكنهم الاطلاع على الصورة أو نسخها ليسوا شخصاً واحداً أو شخصين وإنما أكثر من ذلك بكثير ، فلماذا لم يقم واحد منهم ـ بحثاً عن الثروة والشهرة ـ بنشر هذه الصور بعد تركه منصبه بالوكالة؟!!

★★ أوهام الوحدة والعقل الباطن :

هذا ويتعرض رواد الفضاء إلى مشاكل أخرى تسبب لهم إجهادات نفسية تعود

---

(١) جريدة المساء عدد ١٧ من ديسمبر ١٩٨٩ ، مقال السيد هاني : سكان الفضاء قادمون .

بدورها إلى صنع أوهام ينتجها العقل دون أن يكون لهذه الأوهام وجود فيزيقى .. ومن هذه المشاكل نذكر : العزلة التامة ـ الصمت المطبق ـ الظلام الدامس والسكون الذى لا يقطع حبله إلا الآلات ، تطن وتزن على وتيرة واحدة . هذه جميعاً تؤثر فى أعصاب رائد الفضاء ، وقد تظهر توترات نفسية شديدة فى سكون وعزلة الفراغ الكونى مؤدية إلى توهمات بصرية وسمعية (١) .

إننا لا نعرف فى الحياة العادية ما هو الظلام ، فأظلم الليالى لا تكون أبداً مظلمة إلى درجة تستحيل معها رؤية حدود الأشياء ، وعيوننا قادرة على التكيف مع ظروف الإضاءة الدنيا ، أما فى الفضاء الخارجى فإن بقع النجوم اللامعة تومض، ومن ورائها خلفية مظلمة تماماً . وترى العين فراغاً مظلماً يبدأ عند حافة قرص الشمس الذى يعمى الأبصار . وتتوتر الأعصاب فى هذه الظروف غير العادية ولا يؤدى أزيز الآلات الرتيبة إلا إلى زيادة التوتر .. إنك لو كنت تجلس وتقرأ فى عزلة تامة ، فإن طنين ذبابة واحدة يمكن أن يؤدى بك إلى الجنون ، وكلما حاولت التركيز على الكتاب ازداد دوى الطنين فى أذنيك ، وهكذا تظل أصوات الآلات الرتيبة تدق الأعصاب فى كبسولة سفينة الفضاء التى يخيم عليها السكون لولا هذه الأصوات ، وهذه هى أحد تأثيرات الإثارة طويلة الأمد التى تعمل دون انقطاع على نفس المركز العصبى.

يضاف إلى هذا الشعور الغريب بالوحدة نتيجة وجود الإنسان وحيداً فى هذا الفراغ الكونى على بعد عشرات الملايين من الأميال ، وقد وجد الطبيب الأمريكى « **دونالدهب** » أن وضع أشخاص أصحاء فى ظروف عزلة تامة أدى إلى ظهور أعراض الهلوسة والسلوك الشاذ عليهم بسرعة ، وقد وجد أن أعراض الهلوسة وغيرها من الانهيارات النفسية لا تظهر إذا أزيلت ظروف الراحة الزائدة ، بمعنى أن عقل الشخص يؤدى وظيفته على نحو سوى إذا ما شغل وقد يشغل الشخص بأخذ درجات الحرارة ومراقبة نبضه وملاحظة الوقت وتدوين الملاحظات .... إلخ(٢) .

---

(١) **نخبة من العلماء السوفيت : الفضاء الخارجي والإنسان ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٢ ص ١٧٠.**

(٢) م . س ص ١٦٦ .

لقد وجد أن القيام بنشاط فى العزلة والوحدة وعمل شئ بهدف ما ،هو علاجات مؤكدة تقى من الانهيار النفسى ، لكنها لا تقى من الأوهام التى يصنعها العقل الباطن ، فرائد الفضاء مثله مثل الطيار يحتل مجال رؤيته جهاز التحكم المعقد الذى يقع أمامه من جهة ، ومن جهة أخرى المدى والخلاء فى الفضاء الكونى ، إن عقل الطيار الواعى منكب أحادياً على تفصيلات تتطلب أقصى درجات الملاحظة حذراً ، بينما يعمل عقله الباطن من وراء ظهره ، إن صح التعبير، على ملء فراغ الفضاء الذى لا يحد . إن تدريبه وسلامة حسه يمنعانه من ملاحظة جميع الأشياء التى قد تطلع من الداخل وتتخذ لها صورة مرئية تعويضاً له عن الفراغ والوحدة إذ يحلق عالياً فوق الأرض ، مثل هذا الوضع يمدنا بشروط مثالية لإنتاج الظاهرات النفسية العفوية [١] ، وهى ظاهرة توجد رغم كل محاولات وكالات الفضاء للتغلب عليها .

★★ صحفى فى الفضاء :

ومما يجدر ذكره أن الأمريكان والروس يبذلون جهوداً كبيرة لعلاج مشاكل السفر فى الفضاء بتصميم بدل فضائية لتقليل تدفق الدم المفاجئ من الساقين إلى الرأس عندما ينطلق الجسم بسرعة كبيرة من مجال الجاذبية الأرضية إلى مرحلة انعدام الوزن ، وينصحون الرواد بشرب كميات كبيرة من الماء المالح لتقليل اندفاع الدم من الرأس إلى الجسم بمجرد الدخول فى مجال الجاذبية الأرضية ، وذلك لمنع حدوث حالات الإغماء التى تصاحب هذا الدخول ، كما يعطونهم عقارين فى عقار واحد (السكوبولامين مع الامفيتامين أو فينيرجان مع دالمان) لتقليل آثار دوخة السفر ، لكن أمر الدوخة يبقى قائماً ، وبخاصة وأن العلاج بمجموعات العقاقير القوية ثبت أنه ليس الحل المناسب ، لأنها تحد من القدرة على التركيز واتخاذ القرار المناسب [٢] .

ومن الأمثلة على تعرض الرواد لأزمات نفسية عنيفة ، وخصوصاً فقد التركيز وانهيار القدرة على الحكم الجيد على الأشياء والدخول فى دوامة دوار الفضاء ، ما

(١) كارل يونج : ظاهرة الأطباق الطائرة في ضوء علم النفس – دار المنارة – بيروت ١٩٨٩ ص٥٨ .
(٢) مجلة المجلة العربية – مرجع سابق ص ٤٧ .

حدث للصحفى اليابانى «**إكيما**» الذى أرسلته شركات التليفزيون اليابانية على متن سفينة الفضاء السوفيتية «**سيوز**» ، ودفعت لذلك ثمناً ١٢ مليون دولار ، وتوقعت أن تسمع منه العجائب وهو فى الفضاء .

وفيما يلى نص ما أبرق به من تقارير غريبة ومعلومات هائلة !!:

«فى اليوم الأول قال : شربت فنجانين من القهوة ، ولا أزال نائماً .

وفى اليوم الثانى قال : الأرض كروية .

وفى ثالث يوم : قارة إفريقيا لونها بنى داكن .

وفى رابع يوم : إنى دايخ والطعام لا يستقر بمعدتى .

وفى خامس يوم : معى ثلاث ضفادع . إنها تقفز فى الفضاء .. الضفادع هى الضفادع فى كل الدنيا .

وفى سادس يوم : إن زملائى السوفييت رأوا طبقاً طائراً ، ولم يتسع وقتى لكى أناقشهم» (١) .

وبغض النظر عن أن فلوس الشركات اليابانية قد ضاعت لكى يعرفوا أن الصحفى «**إكيما**» عنده صداع شديد ، يبقى السؤال قائماً :

هل رأى رواد الفضاء السوفييت طبقاً طائراً فعلاً؟ أم أنهم ادعوا ذلك كمداعبة أو ليدخلوه فى دائرة الإثارة؟ .. أم أنهم كانوا كزميلهم «إكيما» فى حالة انعدام وزن أدخلتهم فى دائرة الهلاوس البصرية؟

أغلب الظن أنهم كانوا كذلك ، وأن بعض زملائهم الذين ادعوا رؤيتهم أطباقاً طائرة كانوا هم أيضاً تحت تأثير انعدام الوزن بحيث انخدعوا فى أشياء أخرى لا علاقة لها بالأطباق الطائرة كسفن فضائية أخرى أو مخلفات سفينتهم نفسها أو حتى فى ظاهرة فلكية جديدة عليهم ، ناهيك عن أن أغلبهم لم يخدع فى شئ ، وأنما توهم تحت تأثير الهلاوس رؤيته أطباقاً طائرة .

---

(١) جريدة مايو عدد ١٧ من ديسمبر ١٩٩٠ .

★★ عصافير الفضاء الطائرة :

وعند هذا الحد نتوقف لنناقش حكاية الأجسام الهلامية المضيئة التى رآها رواد الفضاء فى شكل عصفور داخل السفينة وعند ذيلها وخارجها ، وهم يقولون إن هذه البقع الطائرة اللامعة إذا اقتربت من العقول الإلكترونية اهتزت العقول وتلعثمت وارتفعت درجة حرارتها وراحت تهذى ، وإنهم فى كل مرة يحاولون تصويرها ، فإنها تفلت من التصوير أو عند تحميضها تكون الصور بيضاء تماماً .

فالواضح من وصف الأجسام الهلامية غير محددة المعالم أنها ليست أطباقاً طائرة ، فكلنا يعلم أن للأطباق الطائرة- التى ادعى الناس رؤيتهم لها- أشكالاً عدة ولاشك ، غير أنها تتفق جميعاً فى أكثر من صفة، منها أنها ذات شكل ثابت بحيث إنها لا تصغر ولا تكبر وأن لها ملامح محددة ، وهذا عكس ما نقوله عن الرواد الذين شاهدوها بصورة غير محددة الشكل ومع ذلك فهى تشبه العصفور أو الطيور! ولذا أطلق عليها لفظ «طيور النار»

والذى يلفت النظر فى الموضوع كله أنه يمكن لها أن تدخل داخل السفينة المحكمة الإغلاق دون أن يدرى أحد من الرواد كيف فعلت ذلك ، ومعلوم مسبقاً أنها لو كانت طبقاً طائراً لما كان ممكنا له أن يخترق جسم السفينة الفضائية الأرضية ليمرح بداخلها جيئة وذهاباً دون أن يدمر جسمها ، ثم كيف يتصور أحد الأشخاص وجود طبق طائر فى حجم ضئيل جداً حتى أن يختصر ذاته فى مساحة بقعة طائرة؟! إن أبسط حجم يمكن تصوره للأطباق الطائرة يجب أن يتسع لجلوس ملاح فضائى واحد حتى وإن كان قزماً ، وهو على هذا فى حجم مكعب لا يقل ضلعه عن ثلاثة أرباع المتر ، ولك أن تقارن هذا الحد الأدنى من الأحجام بحجم بقعة ضوئية ربما لا يزيد قطرها على عرض صفحة هذا الكتاب ، ثم تتخيل بعد ذلك أنها لطبق طائر!

وإذا كان صحيحاً أن أحد مظاهر وجودها داخل سفينة الفضاء أنه كلما اقتربت من العقول الإلكترونية اهتزت العقول وأصابها مس من الهذيان ، فإننا والحالة هكذا لسنا فى مواجهة طبق طائر ـ حيث يمكن للأخير أن يؤثر فى مثل هذه العقول عن بعد شاسع ، ليس فقط عند اقترابه منها ـ وإنما نحن فى مواجهة

ظاهرة فلكية ، ذات خصائص مغناطيسية محددة ، لم يقف العلماء فى الأرض عليها بعد ، لأن أحداً منهم لم يشاهدها بالعين المجردة ولم ير كذلك صوراً واضحة لها بحيث يمكن من خلالها دراستها والتعرف عليها .. ولعل فى مثل هذه الظاهرة ما يفسر حكاية أن لها أصواتاً (كأنها تنادى رواد الفضاء أو تحاول!) فمن الممكن أن تكون هذه الظاهرة الفلكية مقرونة بشيئين : الضوء والصوت ، تماماً كما يحدث مع البرق الذى يعقبه صوت يشار إليه بأنه رعد .

★★ حكاية اللغات الفضائية :

على أننا عندما نترك حكاية أصوات هذه الطيور و «زقزقتها» لرواد الفضاء! وننتقل لبحث حكاية الأصوات التى كانت تحمل لغة غير مفهومة استقبلتها أجهزة الاستقبال اللاسلكى ولوحظ أنها لا هى أصوات الرواد أنفسهم ولا هى أصوات محطات المتابعة الأرضية ، فإن أهم ما يتلاحظ لنا أن علماء الأجناس يقولون : إن عدد اللغات المستخدمة بين الناس على الكرة الأرضية يبلغ ٢٧٩٧ لغة ، لها نحو ٨٠٠٠ لهجة [١] ، وأن كل الجواسيس يرسلون معلوماتهم دوماً عبر أجهزة الإرسال اللاسلكى على مختلف الترددات بلغات شفرية يصعب تفسيرها أو حلها أو فهمها على أجهزة الاستخبارات بما فيها الـ «سى .آى إيه» .

إننا أمام هذا الكم الهائل من اللغات واللهجات البشرية العادية ، وما يزيد عليها من لغات مشفرة يصعب حتى على أجهزة الاستخبارات الأمريكية حلها ، لابد أن نتساءل : كيف يمكن لرواد الفضاء أن يفسروا هذه اللغات التى تتداخل مع إرسالهم اللاسلكى ؟!

مستحيل طبعاً ! .

١- مجلة هو وهي عدد ٦٤ ص ١٣ .

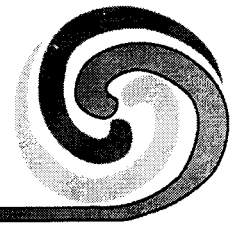

الفصل الثانى
أوهام الإدمان الطائرة

★★ الإدمان فى الغرب :

إذا كانت الأحلام الطبيعية وأحلام اليقظة التى ينساق إليها الإنسان تقوده إلى الاعتقاد فى وجود كائنات أخرى وتصور له إجراء لقاءات معها ، فإن الأحلام الوردية **Nice Dreams** يمكن أن تحدث عن طريق نوع آخر من الهلوسة الصناعية التى يقع الإنسان فريسة لها عندما يلجأ إلى إدمان المخدرات أو عقاقير الهلوسة أو المواد المسكرة كالخمر والكحول والفودكا .

واليوم فإن العالم الغربى ينتقد شبابه بأنه يتميز بثلاث ظواهر سلبية هى العدوان وسوء استعمال المخدرات وإدمانها والإباحية الجنسية .. وإذا غضضنا النظر عن العدوان والإباحية الجنسية وركزنا على المخدرات وإدمانها لوجدناها تقود إلى العدوان والإباحية الجنسية فى نفس الوقت الذى تقود فيه إلى صنع هلاوس بصرية وعقلية ونفسية . ويعتبر الإدمان فى الغرب واحداً من الموضوعات المهمة والخطيرة التى بحثتها هيئة الصحة العالمية ، وعملت على تشكيل العديد من اللجان التى عملت طويلاً حتى وصلت إلى تقسيم هذا الإدمان إلى أنواع :

* **الإدمان الكحولي** : حيث يتم إدمان الخمر ، والمنومات المختلفة ، وبعض الأدوية المطمئنة مثل الفاليوم ، البندراكس ، الكلورال .

* **إدمان المنشطات** : أوكما يقال عنه الإدمان الأمفتامينى ، وأشهر هذه الأنواع الإمفتامين ، الريتالين ، وبعض الأدوية الأخرى التى تستعمل من أجل عدم النوم، أو السهر ، ومن أجل التخسيس ومن أجل فقدان الشهية فى حالة علاج السمنة .

* **الإدمان القنابي** : أى إدمان منتجات نبات القنب مثل الحشيش والماريجوانا .

* **إدمان الكوكايين** : حيث يتم استعمال الكوكايين أو أوراق نبات الكوكا .

* **الإدمان الهلوسى** : وهنا يتم إدمان أدوية الهلوسة وعلى رأسها عقار

المسكالين ودواء إل ـ إس ـ دى (L.S.D) .

* **الإدمان القاتى** : حيث يمضغ المدمن نبات القات .

* **الإدمـان الأفـيـوني** : ويدخل تحت هذا البند إدمـان الأفـيـون ، المورفين ، البيتدين، الهيروين ، الكودايين ، التيادون ، الدولكسين ، السوسيجون ، الالجافان ، الستادول .

* **إدمان المذيبات المتطايرة** : وهنا يتم إدمان الأسيتون ، البنزين ، رابع كلوريد الكربون ، التربنتينا ، وبعض المذيبات الأخرى ، دهان البياض ، استنشاق أدوية السعال والكحة [١] .

هذا من حيث التصنيف ، أما من حيث الانتشار فالأرقام الواردة لنا من الغرب تؤكد أن الولايات المتحدة هى المركز الأم لتعاطى جميع أنواع المواد المخدرة بما فيها المواد : المخدرة والمسكرة والمنبهة . ووفقاً لما أكدته الإحصائيات الرسمية فإنه يوجد بالولايات المتحدة الأمريكية ٢٥ مليون مدمن معظمهم من الشباب [٢] وأشارت الإحصائيات إلى أن جملة مدمنى الكوكايين تبلغ ١ر٢ مليون تقريباً ، وعدد مدمنى الهيروين ٥٠٠ ألف تقريباً وأن الماريجوانا لا تزال على قائمة أعلى المبيعات لدى الأمريكيين [٣] وأن الإقبال على تعاطى عقاقير الهلوسة وخصوصاً العقار المعروف بـ إل . إس . دى : فاق الإقبال على تعاطى مخدرات الكوكايين والكراك بين طلبة المدارس الثانوية [٤] وأن الساحة مهيأة الآن لمزيد من الارتفاع فى تعاطى مؤشر أنواع المخدرات بين المراهقين بسبب نقص برامج التوعية ، وأن هناك زيادة نسبتها ٤ ٪ بين مدخنى الماريجوانا خلال عام ١٩٩٣ فقط [٥] .

ووفقاً لدراسة أجرتها جامعة واشنطن فإن عدد مدمنى الخمور فى الولايات المتحدة الأمريكية يبلغ ٥ ملايين مدمن [٦] . أما عن مدمنى الكحوليات والمشروبات

(١) د. أحمد عكاشة : الإدمان . مقال بمجلة العلم والحياة عدد فبراير ١٩٨٨ ص٣٣ .
(٢) جريدة وطني عدد ١١ من مارس ١٩٩٠ .
(٣) جريدة الأخبار عدد ١٢ من يوليو ١٩٩٥ .
(٤) جريدة الأخبار عدد ١٣ من يوليو ١٩٩٥ .
(٥) جريدة الأهرام عدد ٢ من فبراير ١٩٩٤ .
(٦) جريدة الأخبار عدد ١٥ من مارس ١٩٨٩ .

الروحية المصنعة من الكحول فحدث ولا كذب ، وقد قدرت دراسة قام بها معهد السياسة الصحية بجامعة **براندیز** أن الكحول يتسبب فى وفاة أكثر من ١٠٠ ألف أمريكى سنوياً ويسلب ٢ر٧ مليون عام من الحياة أى حوالى ٢٦عاماً من عمر كل ضحية من ضحاياه وأن حوادث السيارات القاتلة تكون نتيجة القيادة تحت تأثير الكحول ، وقالت الدراسة : إن أكثر الوفيات التى تقدر بـ ٥٢٠ ألف حالة سنوياً لها علاقة كبيرة بالإفراط فى تناول الكحول والمخدرات . وأوضحت أن إجمالى التكلفة الاقتصادية الناتجة عن سوء الاستخدام المفرط هو رقم هائل تجاوز ٢٣٨ مليار دولار فى عام ١٩٩٠ . ويتضمن هذا الرقم ٩٩ ملياراً من الدولارات ثمناً للمشروبات الروحية ، و٦٧ مليار دولار عن سوء استخدام المخدرات . وجاء فى الدراسة أن عدد الذكور المدمنين للخمور يفوق عدد النساء المدمنات بثلاث مرات . كما بلغ عدد مدخنى الماريجوانا من الذكور ضعفى عدد الإناث المدخنات . وكشفت الدراسة أن ٧٠٪ من تلاميذ المدارس الأمريكية مع وصولهم إلى الصف الثانى يكونون قد جربوا المشروبات الروحية [١] .

هذا عن الولايات المتحدة أما عن أوربا فالإحصائيات الواردة من ألمانيا تقول: إن عدد المدمنين فى ألمانيا وصل إلى ٥ ملايين ، من بينهم مليونان و٤٠٠ ألف مدمن كحوليات و١٢٠ ألف مدمن هيروين إلى جانب مدمنى الأدوية . وأن عدد مدمنى الكحوليات تصاعد ٣ مرات منذ الخمسينيات [٢] . وفى فرنسا قُدِّر عدد المدمنين للمخدرات بنحو ٥ ملايين مدمن من بين ٢٠ـ٣٠ مليون مدمن للمخدرات فى أوربا الغربية كلها [٣] . وجاء فى إحصائية فرنسية أن الفرنسيين هم أكثر شعوب العالم استهلاكاً للكحوليات وأن نصيب الفرد يبلغ ١٥٠ لتراً من البيرة و١٢ لتراً من الخمور سنوياً [٤] . وفى **هولندا** يبلغ عدد المدمنين ما يقرب من ثلاثة ملايين مدمن ، ٦٠٪ منهم مدمنو هيروين [٥] . وفى بريطانيا قالت الأرقام : إن نحو

---

(١) مجلة العلم عدد يونيو ١٩٩٤ ص ٢٤ وجريدة أخبار اليوم عدد ١٩ من أبريل ١٩٩٤ .
(٢) جريدة الوفد عدد ١٥من يناير ١٩٩٤ .
(٣) جريدة الوفد عدد ٢١من مايو ١٩٩٤ .
(٤) جريدة أخبار الحوادث عدد ٤من أغسطس ١٩٩٤ .
(٥) جريدة الوفد عدد ٢٣من سبتمبر ١٩٩٤ .

٦٠٪ من طلبة المدارس جربوا المخدرات وأن أبناء هذا الجيل يعرفون طعم المسكرات وهم فى سن الـ ١٣ ويشربون الكحول فى سن ١٤ ويجربون المخدرات فى سن الـ ١٥ سنة [١] . وإن أكثر من مائتى ألف بريطانى يموتون سنوياً بسبب الخمور . وقالت المجلة الطبية البريطانية : إن الزعم بأن تناول الخمور قد يكون مفيداً هو زعم باطل ومحض افتراء ، والدراسات التى تستند إليها هذه المزاعم غير موثقة ولا يعتد بها [٢] أما فى **أسبانيا** فقد ذكرت مجلة **ترافيكو** أن الإفراط فى تناول الخمور والمخدرات والأدوية يعد السبب المباشر فى ٥٨٪ من حوادث السير بإسبانيا وأن ٨٠٪ من سائقى السيارات اعترفوا بأنهم يتناولون يومياً أو مرات عديدة فى الأسبوع المشروبات الكحولية [٣] .

★★ تأثير المواد المخدرة :

عظمة .. قوة .. نشوة .. سعادة .. انطلاق .. هلوسة ...

إنها الإيحاءات التى تمنحها الأحلام الناتجة عن تعاطى المواد المخدرة وبعض الأدوية ، وخصوصاً المخدرة منها ، وكثيراً ما تكون هذه الأحلام أحلام يقظة ـ وهنا تكمن خطورتها حيث لا يستطيع الحالم أن يفرق بينها وبين الواقع ـ وتختلف درجة هذه الأحلام وشدة تأثيرها وفقاً لنوع المادة المخدرة التى يتعاطاها المدمن :

فالبنج وأوكسيد النيتروز له شهرة عجيبة فى مجال الأحلام وقد بلغت درجة تحتم على طبيب التخدير عندما يقوم بإعطاء هذا النوع من البنج لفتاة مراهقة أن يحمى نفسه بتواجد شاهد واحد معه على الأقل .. إذ يمكن لمثل هذه المراهقة بعد أن تفيق من البنج أن تعتقد أن ما حلمت به كان حقيقة واقعة .. وليس أضغاث أحلام .

أما تدخين الحشيش فإنه يسبب أحلام اليقظة المتميزة بالإحساس بالعظمة وقمة الرضا عن النفس فيعتقد متعاطى الحشيش أنه سلطان عصره وسيد زمانه ، وأنه ليس له مثيل فى العالمين ويشعر بنشوة عجيبة ويضحك لأتفه الأسباب أو لغير سبب

(١) مجلة التصوف الإسلامي عدد يونيو ١٩٩٤ .
(٢) جريدة الأخبار عدد ٢٥ من سبتمبر ١٩٩٢ .
(٣) جريدة المسلمون عدد ٢٢من يوليو ١٩٩٤ .

obeikandi.com

وتتدفق من فمه عبارات لا رابط بينها ولا ضابط لها ولا سيطرة له عليها ، وقد يتذكر أموراً طواها النسيان منذ أمد بعيد بينما يعجز عن تذكر أحداث الساعة المهمة ، ويفقد القدرة على الإحساس بالزمن ، فيخيل إليه أن الدقائق ساعات ، وأن الساعة دهر طويل ويضطرب حكمه على المسافات فيرى القريب بعيداً ، والبعيد قريباً (١) .

وللخمور تأثيرها المثبط للمراكز العليا ، مما يحرر الغرائز فيخيل للمرء أن أعصابه قد تنبهت ولكن الواقع أن غرائزه قد انطلقت من عقالها ، وفقدت هيمنة الضوابط العليا عليها .

وتتميز أعراض الماريجوانا بالشعور بالسعادة والارتياح ورؤية الألوان واضحة وبراقة مع زيادة الإحساس بجمال الأنغام الموسيقية وزيادة الشهية للطعام ، وقد يحدث للشخص المدمن لها الشعور بالقلق المفاجئ مع هلوسة فى الرؤية (٢) .

ويؤثر المورفين فى مناطق معينة فى المخ مسبباً حالة تجعل المرء لا يشعر بالألم ، ولكنه يحس بالسعادة والتفاؤل ، وعندما تكون الظروف مواتية، والهدوء شاملاً فإن ذلك يجلب النوم الذى تتخلله أحلام وردية ، وهو يبعث على الشعور بلذة ونشوة فى البداية ويتوهم المتعاطى أن قدراته الفكرية والعقلية زادت ، ولكن بعد زوال مفعول المورفين يشعر بالقلق والاكتئاب إضافة إلى الإثارة والخوف .

ويعمل الأفيون على إحداث حالة نفسية تبدأ بحالة من النشوة والفرح ، يتبعها اكتئاب وانزعاج بمجرد زوال المفعول مع تسارع فى دقات القلب وبطء فى التنفس .

أما الهيروين فيعطى فى البداية شعوراً لذيذاً وعذباً ، وإذا زيدت الكمية تظهر حالات من الهيجان الجسدى ، لكن المفعول المتوخى والأكثر طلباً هو الإحساس بالارتعاشات والنشوة مع تفاقم تخيلات المتعاطى .

ويعمل الكوكايين على تنبيه الجهاز العصبى المركزى ، ويعطى متناوله نشوة مع حالة سكر خفيفة ، وميل إلى الحركة واختفاء الخجل ، وأحياناً حالة هيجان

---

(١) د/ إبراهيم فهيم : أحلام الأدوية ـ مقال بمجلة طبيبك الخاص عدد ٥٨ - أكتوبر ١٩٧٣ ص٢٧-٢٨ .

(٢) «الإدمان» مقال بمجلة طبيبك الخاص عدد ١٠٨ ـ ديسمبر ١٩٧ ص ٤٩ .

حركية وزيادة فى القوة العضلية وعدم شعور بالتعب وعدم خوف من المخاطر ، كما أن الكوكايين يلغى الإحساس بالجوع ، ويلاحظ عند المتعاطى اتساع فى بؤبؤ العين وتسارع فى نظام التنفس وفى ضربات القلب مع ارتفاع فى ضغط الدم وحرارة الجسم ، وفى معظم الأحيان تدوم هذه الحالة ساعة أو ساعتين ، بعد ذلك تختفى النشوة وتظهر حالة تشوش فى الأفكار مع هلوسة سمعية ولمسية .

وتعتبر الامفيتامينات من أخطر المواد المخدرة ، حيث يعيش المدمن فى حالة هياج جسدى وعقلى متواصل ، ويتوهم أنه أصبح خلاقاً فى الأدب والفن والفلسفة وأمور الدنيا ، إضافة إلى أنه تظهر عنده هلاوس سمعية وبصرية وربما وصلت إلى حد الهذيان ، ومن الممكن أن تطول الحالة فتتحول إلى مرض عقلى (١) .

ويقود شم المذيبات المتطايرة بصفة إدمانية بما فى ذلك الأبخرة والغازات الطيارة والصمغ وروث البهائم إلى جلب الخور والدوار ، وتنتاب الضحية حالة هلوسة حادة فيرى أشياء خيالية ويسمع أصواتاً تبدو له حقيقية (٢) .

أما إدمان الكحول فيسبب الكثير من الأمراض ، ووجود الكحول فى الدم يكون له تأثير كبير فى الدماغ والنظر والعضو المسئول عن الاتزان فى الأذن الداخلية ، بالإضافة إلى تأثيره فى الذهن والجهاز العصبى ، وقد ثبت علمياً أن الكحول يسبب بطئاً شديداً فى الانتباه ويعمل على تأخير اتخاذ القرار السريع تجاه بعض الواجبات الحرجة .

وقد اشتهر عقار المسكالين لأثره الضخم فى العقل ، وأنتجته المصانع السرية فى أمريكا ، وأطلقت عليه اسم «الحمض» ، وتلقفته جماعات الشباب من الطلبة والمثقفين والفنانين ، واستعملوه بشكل فردى أو جماعى بدل الحشيش والماريجوانا لما يبعثه فى نفوسهم من انفعالات قوية وتصورات غريبة ، ولا يزال الإقبال عليه فى تزايد وانتشار رهيب بين المراهقين المتمردين الذين يبحثون عن الشعور بالانتماء الذى فقدوه ، أو عن الهروب من الواقع المؤلم .. وتختلف استجابة المتعاطى حسب

---

(١) «المخدرات : عالم الهلوسة ومشكلة القرن العشرين» مقال بمجلة الطب العربي عدد ١٤ السنة ٢ ـ ص ٤٤ ـ ٤٧ .

(٢) مقال «إدمان من نوع جديد يهدد أطفالنا» مجلة نصف الدنيا عدد ٤ مارس ١٩٩٠ ص ٢٣ .

شخصيته وتوقعاته والجو المحيط به، وبصفة عامة : بعد لحظات من تعاطيه تحدث زغللة فى البصر ، وقد يرى الشخص أشياء لا وجود لها فى الواقع ، أشياء شديدة النقاء والوضوح واللمعان ، وتبدو المناظر مختلفة عن الواقع فقد يرى الشخص الحوائط وهى تنبض إلى الداخل والخارج ! وقد يرى بقعة على الحائط تكتسب شكلاً غريباً ومضموناً مثيراً . وتشتد حاسة السمع ، والشخص الذى لم تطربه الموسيقى من قبل قد يهتز من أعماقه عند سماعها ، وقد تظهر الأنغام على شكل ألوان .. وقد يحس لها بمذاق فى فمه ، وفى حالات نادرة قد يسمع أصواتاً لا وجود لها .. وإذا استعمل العقار لفترة طويلة تنتج عنه اعتقادات خاطئة ، وخداعات بصرية وخوف مروع واكتئاب مصحوب بمحاولات الانتحار .. وعلى كل فإن العقار يحدث تغييرات فى الشخصية المداومة على التعاطى فيفقد الاهتمام بمصالحه، ولا يهتم إلا بالعقار ، وصحبة المتعاطين الآخرين ، والتهاويل التى ينعم برؤيتها فى ساعات التسمم بالعقار [1] .

مهرجان للهلوسة الجماعية في الولايات المتحدة ، هذا المهرجان الذي أقيم سنة ١٩٦٩ كان أول مهرجان للتعاطي العلني .. واليوم تعتبر الولايات المتحدة في مقدمة الدول المستهلكة للمخدرات وفي نفس الوقت المبلغة عن ظهور أطباق طائرة في سمائها

أما عقار الـ « **إل . اس . دى** » المستخلص من الأرجوت والمعروف كيميائياً باسم « حامض ليسيرجيك داى إيثيل أميد » فيعرف اليوم باسم « عقار الهلوسة » أو « عقار الهذيان » حيث يعمل على الولوج بالمتعاطى إلى عالم غير الذى كان يمارسه ويعلمه ، ويرفع العقار عن العقل بعض أحكامه فيسبب أحلاماً تدور حوادثها فى عوالم أخرى مليئة بالخيال الرائع والألوان الجميلة ، وتبدو الأشياء

(١) د. أحمد متولي مسلم : « حبوب الهلوسة : خيال ، جنون ، انتحار » مقال بمجلة طبيبك الخاص عدد ١٠٨ ص ٤٣ ـ ٤٥ .

أجمل وأكثر حدة فى التلوين ، ثم بعد ساعة أو أكثر يختفى هذا ويحل محله خداع بصرى ، فترى الواحد ممن تناولوه وقد سرح فى عالم آخر ، ويبدو وهو يتأمل فى قطعة خشب أو حجر وكأنما هو كمن أدرك جوهر الأشياء وعرف مضمون الوجود ... إن اهتزاز العقل بهذه المادة يجعله يهلوس ويتصور عالماً بلورياً شفافاً وكأنما جبال قد تحولت إلى ذهب وجواهر براقة ... ويرى الأشياء بصور هندسية أو حية فتتحول أمامه إلى نافورات من أضواء ذات ألوان زاهية أو فراشات محلقة أو طيور مغردة أو زهور راقصة ، ويصل به الخيال إلى أن يرى جسمه وقد تحول إلى جسم عملاق ، وقد تحولت يداه إلى مخالب حادة ، والبعض يتخيل أنه يرى الدم وهو ينساب داخل جسمه ، وقد يتخيل أنه يرى عظامه من خلال اللحم . وقد اتسع نطاق استعمال هذا العقار بين عامى (١٩٦٦ ، ١٩٦٨) وكان حلم كل شاب أن يمر بهذه التجربة الفريدة ، ويستعمل هذا العقار ، ولكن سرعان ما ثبتت آثاره المدمرة للجهاز العصبى فتدخل القانون ليوقف هذا اللعب بالنار دون أن يستطيع إخماد هذه النيران تماماً [١] .

★★ كيف تحدث الهلوسة؟

نحن نفكر ونتحرك وننفعل ونحزن ونفرح .. كل ذلك نتيجة ومضات عصبية تنتقل بين الخلايا العصبية فى المخ وبعضها البعض ... تفرز أطراف الخلية المادة الكيماوية التى تحمل الرسالة إلى الخلية التى تليها وهكذا .. ولكن المادة الناقلة للرسالة لا تستمر بل تنتهى بالتحطيم بعد انتهاء نقل الرسالة أو الشحنة العصبية .

والمخ يقوم بملايين التفاعلات الكيماوية كل ثانية لنقل رسالات وشحنات بين ملايين الخلايا التى يتكون منها ، ولكن كل وظيفة لها نوع من المادة الكيماوية المخصصة لها .. لذلك أمكن تقسيم المخ إلى عدة أماكن كيماوية نسبة إلى نوع المادة التى يستعملها النسيج العصبى عند قيامه بوظيفته . وفى الستينيات كانت المواد الكيماوية محددة بثلاث مجموعات : « أستيل كولين **Acetyl choline** وأدرينالين **Adrenalin** ودوبامين **Dopamine**» ويقوم بتكسير كل نوع منها عند

---

(١) عبد المحسن صالح : نبات يمرض وإنسان يهلوس ، مقال بمجلة الدوحة عدد إبريل ١٩٨١ ص ١١٢ ، ومقال «الإدمان» مرجع سابق ص ٤٩ .

انتهاء وظيفتها إنزيمات متخصصة .. ثم اكتشف بعد ذلك وجود نوع رابع هو سيروتونين **Serotonin** ارتبط به التقدم الهائل فى استعمال العقاقير لعلاج الحالات العصبية والنفسية ، أى العلاج العقاقيرى للأمراض العقلية والنفسية .

ثم فى السبعينيات اكتشفت مواد جديدة خاصة بالألم ومقابلة آثاره المدمرة على النفس .. وهى مجموعة سميت بالأفيونيات **Opioidg** «لعلاقتها بالمورفين من ناحية التركيب » وأهمها نوعان : إينكفالين **Enkephalin** وإندورفين **Endor-phin** لذلك اتسعت كيمياء المخ وأصبحت تحتوى على عدة أنواع وكل نوع يشمل عدة أصناف .

ثم ثبت أن كل أنواع المخدرات سواء كانت سموماً بيضاء كالكوكايين أم سوداء كالأفيون .. إلخ تعمل بطريقة كيماوية بحتة بالتدخل فى وظيفة كيماويات الجسم الأصلية ، إما بالإحلال محل هذه الكيماويات «كالأفيون والهيروين والمورفين» ، وإما بمنع الجسم من تحطيم المادة بعد انتهاء رسائلها « مثل الكوكايين وعقاقير الهلوسة » والنتيجة اضطراب شديد فى الوظائف والملكات العقلية قد يكون مدمراً [1] .

ومنذ تم اكتشاف الأفيونات التى يفرزها المخ ، عرف العلم أن المخ قادر على إفراز مواد أفيونية لذية فى بعض الأحيان وأن مصدر هذه المواد اللذية هو الفص الصدغى **"Temporal Iobe"** . وقد ظلت وظيفة هذا الفص الصدغى الموجود بالقشرة المخية مجهولة إلى أن أمكن التعرف على نوع من الصرع ينشأ نتيجة الإصابة فى هذا الجزء .. وهو ما يسمى بالصرع النفسى الحركى الوارد الحديث عنه فى فصل سابق ، والذى تنتج عنه أحاسيس وانفعالات وهلاوس ، وقد أمكن تتبع هذه الأحاسيس واكتشف أن الفص الصدغى هو مصدرها المركزى ومصدر نشوئها .

---

(١) د/ عبد الرحمن نورالدين «عقار السعادة والمزاج الكيميائي» مقال بمجلة طبيبك الخاص عدد ديسمبر ١٩٨٥ ص ٨ ـ ٩ .

★★ هلاوس الالتقاء مع مخلوقات فضائية :

ولمزيد من اكتشاف وظائف « الفص الصدغى » تم إجراء دراسات حول علاقته بالتجارب «الميتافيزيقية» . وهى كلمة تعنى أحداثاً يتعرض لها شخص أو أشخاص لا تخضع للقانون الطبيعى المعروف بما يحويه من حركات للأجسام وأحاسيس وعواطف .. إلخ . ومن ذلك تجربة الانفصال عن الجسد "OBE" حيث يحس الإنسان أنه انفصل عن جسده ، بل تجول بعيداً عنه ثم يعود إليه .. وهناك أيضاً تجربة الاقتراب من الموت "NDE" التى وصف معظم من مروا بها وصفاً يكاد يكون متطابقاً وواحداً ، وهو الانطلاق فى ممر طويل، فى نهايته ضوء ساطع جميل.

وهناك كذلك تجربة «الالتقاء مع مخلوقات من عالم آخر : من كوكب أو مجموعة شمسية أخرى أو «بعد رابع» للحياة (يوفو UFO) ، وكلها تشتمل على الالتقاء مع مخلوقات غير إنسانية لها أشكال مختلفة تقوم بخطف أناس وتجرى عليهم تجارب تشتمل على تحليل بويضات الإناث والحيوانات المنوية للذكور .. ويكاد كل من مر بهذه التجربة أن يذكر نفس الظروف : ضوء ساطع باهر يأتى من الفضاء ... ثم هبوط مركبة فضائية لها شكل مميز ، وخروج مخلوقات غريبة ـ خضراء اللون غالباً ـ ثم يفقد الشخص المهاجم الوعى حيث يحمل داخل السفينة ويتم تحليله ثم يعود!! (وهو سيناريو معروف فى قصص الخيال العلمى ، وعرض مئات المرات فى أفلام من هذا النوع فى السينما والتليفزيون .

وإذا أضفنا إلى هذه التجارب تجارب الحاسة السادسة والتخاطر عن بعد Telepathy والجلاء البصرى Clairvoyance أو لقاء الأشباح والأرواح والعفاريت والجان... إلخ لأصبح لدينا ملف ضخم لأحداث وتجارب غير طبيعية بالمعنى المعروف وأصبحت كلها تجارب ميتافيزيقية ، أو تجارب لما وراء الطبيعة .

والعالم المتحضر والعالم الثالث أيضاً يمران الآن بفترة عجيبة من العودة للاهتمام بهذه الأمور ، والتى أصبحت تشغل الرأى العام ، حتى أن استطلاعاً للرأى أجرى أخيراً فى الولايات المتحدة أثبت أن أكثر من ٤٠٪ من الأمريكان يؤمنون بوجود أشباح وعفاريت ويؤمنون بوجود مخلوقات أخرى تزور الأرض بين الحين والآخر!!. ولقد شجع هذا الاهتمام العالمى الواسع بعلوم الميتافزيقا والباراسيكولوجى العلماء

والأطباء على الدخول فى محيطه ومحاولة إخضاعه للتجربة والملاحظة العلمية . كما أن انتشار المخدرات الطبيعية والمخلقة والمواد الكيماوية مثل عقار الهلوسة وخلافه، سبب أنواعاً من الإصابات العقلية ، وأعراضاً نفسية شابهت كثيراً من التجارب الميتافزيقية الأخرى ، وبالتالى أثارت الاحتمال العلمى الكبير بوجود مصدر واحد لها فى المخ.

ومع بداية حقبة الثمانينيات أصبح علماء الأعصاب فى العالم متأكدين تماماً من أن الفص الصدغى هو المركز الأساسى للإحساس بالنفس "Self" أو "Me" وأنه ملتقى للانفعالات النفسية والعاطفية أو هو بوابة الذاكرة كما يوصف أحياناً "Gate way to memory" وأن الفص الصدغى يمثل مركزاً أساسياً لتجميع العواطف والانفعالات بحيث يصبح أكثر تعرضاً للتأثيرات الخارجية من باقى المخ... فهو يتأثر بالأشعة الكونية ، وهو يتأثر أيضاً ببعض الإشعاعات غير المرئية التى تخرج من باطن الأرض مع البراكين أو تسبق الزلازل ، أو تخرج من المستنقعات الآسنة ، وكلها أنواع من الإشعاعات والتفاعلات الكيماوية التى لم يمكن تحليلها على وجه الدقة حتى الآن .. هذه الإشعاعات الخارجية قد تؤثر فى الفص الصدغى فى المخ فى الأشخاص الأكثر عاطفية Emotional والنتيجة أحداث ميتافزيقية مختلفة لهؤلاء الناس.

ولقد ثبت فعلاً أن هذه الأحداث تزيد بوضوح قبل وقوع الزلازل المروعة، أو البراكين الهادرة ، أو بعد التعرض لصدمات عاطفية ونفسية عنيفة وعميقة وبخاصة فى أناس أكثر ميلاً للانفعال العاطفى والتأثر النفسى .

★★ الهلوسة التكنولوجية :

إيماناً بفكرة النشاط فى الفص الصدغى وعلاقته بالأحاسيس الميتافزيقية قام عالم طبيب باختراع جهاز سماه «القبعة السحرية Magic Hat» مبنى على فكرة تنبيه الفص الصدغى من المخ بطريقة صناعية ، باستعمال جهاز كهربى يرسل شحنات ضعيفة إلى مراكز محدودة فى المخ ، وتوجه إلى الفص الصدغى بصفة خاصة بواسطة «كمبيوتر» يحدد أماكن التنبيه وفقاً لبرنامج محدد .. وأجريت التجارب على عدد كبير من المتطوعين فكانت النتائج غاية فى الإبهار : بعضهم

أحس بنفس الشعور الذى وصفه من مروا بتجربة الاقتراب من الموت NDE والبعض الآخر أحس بنفس تجربة الاتصال بالهابطين من السماء فى طبق طائر UFO أو الانفصال عن الجسد والتجوال بعيداً OBE ... وكان إجماع من مروا بالتجارب بواسطة استعمال القبعة السحرية أنهم سعداء بهذه التجارب وأحبوها ، بل ألحوا فى طلبها مرات ومرات بعد ذلك ... كما وُجد أن من أُخضعوا للتجربة عدة مرات أصبح عندهم استعداد تلقائى للدخول فيها ، حتى دون استعمال القبعة السحرية... وأصبحوا كالمدمن الذى يشتاق باحثاً عن المخدر الذى أدمنه ، والتجارة شطارة كما يقولون ، لذلك تم إنتاج هذه القبعة السحرية على نطاق واسع وأصبحت تباع فى عدة أماكن فى أمريكا وكندا بالذات [1] .

وعند هذا الحد لنا أن نتساءل :

إذا كان الفص الصدغى يُدخل الإنسان فى أحلام وردية وأحلام يقظة تدفعه إلى الهلوسة بهبوط سكان من كواكب أخرى فى أطباق طائرة ، وإذا كانت المخدرات الطبيعية والتخليقية تصنع هى الأخرى نفس الهلاوس الفكرية والبصرية فى أثناء فترة تعاطى المخدر وحتى بعد الإقلاع عنه ، وإذا كان معظم ما يقدم من بلاغات عن رؤية الأطباق الطائرة وأشخاص يهبطون منها وخصوصاً بالولايات المتحدة ، يأتى من أناس كانوا تحت تأثير المخدرات أو الخمور أو الكحول عندما رأوا ذلك .. فما بالنا بهم بعد تطوير تكنولوجيا المنشطات اللذية باختراع القبعة السحرية صاحبة الهلاوس التكنولوجية عن الأطباق الطائرة وسكان الكواكب ؟! .

---

(١) د/ عبد الرحمن نورالدين : «المخ الكوني والقبعة السحرية» مقال بمجلة طبيبك الخاص عدد مارس ١٩٨٩ ص ٩ ـ ١٣ .

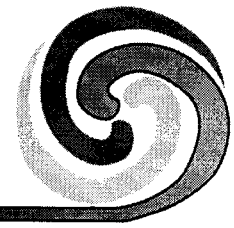

الفصل الثالث
أوهام التنويم المغناطيسى

★★ حكاية الوقت المفقود :

الاختطاف والاغتصاب ، هما أكثر الحوادث بروزاً فى ظاهرة التقاء البشر بمخلوقات من سكان الفضاء الخارجى . ووفقاً لأغلب الروايات المتناقلة فى هذا الصدد ، فإن الضحية البشرية تجد نفسها وسط الطبيعة أو فى منزلها وتلمح ضوءاً غير عادى فى السماء يلقى بظلاله على الأرض ، ثم تشعر بأنها غير قادرة على الحركة وكأنها أصيبت بالشلل ، وتنسى كل شئ بعد ذلك وكأنها فقدت جزءاً من ذاكرتها ، وتدريجياً تعود التفاصيل للذاكرة ولكن ببطء ، أو قد لا تعود إلا تحت تأثير التنويم المغناطيسى الذى يعود بذاكرة المريض للوراء لاكتشاف تفاصيل «الوقت المفقود» الذى كانت فيه الضحية فى فترة الفحص البدنى أو الجنسى أو الاغتصاب .

والوقت المفقود أو «الزمن الساقط» كما يُعرفه متابعو ظاهرة الأطباق الطائرة هو الفترة التى لا يتذكرها الإنسان المختطف من قبل الكائنات الفضائية ، وهى تنحصر فيما بين رؤية جسم غريب محلق فى الجو ، أو رابض على الأرض ، يشع أضواء والتماعات غريبة ، إلى أن يجد هذا الإنسان نفسه على بعد مسافة من الموقع الذى تمت فيه المشاهدة دون أن يتذكر شيئاً مما حدث له خلال الفترة الماضية التى سبقت ذلك .

ووفقاً للدراسة التى أجرتها حول ظاهرة الاختطاف والاغتصاب من الكائنات الفضائية الباحثة «**مارى تيريز دى بروس**» ونشرتها فى كتابها «دراسة عن اختطاف الكائنات الفضائية للبشر» فإن ما يقرب من ٣٠٪ من ضحايا الاختطاف يتذكرون تلقائيا وبوعى تام تفاصيل الحادث الذى وقع لهم ، وأن أكثر من ٦٠٪ من الضحايا يضطرون إلى اللجوء إلى التنويم المغناطيسى لاستعادة الذاكرة المفقودة فى

أثناء فترة الاختطاف [١] .

«وهدف عملية أو جلسات التنويم المغناطيسى هو استرجاع هذه الفترة منذ لحظة الاقتياد الجبرى «القسرى» إلى داخل المركبة الفضائية الغامضة أو الطبق الطائر ، إلى لحظة مغادرتها مروراً بما حدث لهذا الشخص من تفاصيل دقيقة تتعلق بما وقع له خلال هذه الفترة من فحص ودراسة من قبل الكائنات الفضائية الغريبة ، وبالعموم سرد الوصف الكامل لواقعة الاختطاف قبل وأثناء وبعد الدخول إلى الطبق الطائر ، أى عملية الاختطاف بالكامل» [٢] .

★★ تجارب الاختطاف فى الفضاء :

وقد استند بعض هؤلاء العلماء من أجل إثبات صحة تلاعب بعض المحللين النفسيين إلى التجارب التى أجراها عالم الاجتماع الأمريكى «**ألفيس هـ . لاوسن**» فى أثناء محاولته إثبات نظرية «صدمة المولد» فى تفسيره لحالات الاختطاف من قبل كائنات فضائية لرجال من الآدميين ، تلك الحالات التى تشوبها أيضاً ظاهرة الوقت المفقود الذى يسترده إلى الذاكرة الواعية بعض المختصين بالتنويم المغناطيسى . كان «لاوسن» قد أجرى بالاستعانة بالدكتور «**وليام ث . مكول**» الاختصاصى بالتنويم المغناطيسى ، أربع جلسات عام ١٩٧٧ على ستة عشر طالباً ، وفى أثناء وجودهم تحت التنويم المغناطيسى ، عرضت عليهم استمارة مؤلفة من ثمانية أسئلة ندونها فيما يلى:

١ـ تخيل أنك فى مكان مفضل ، مسترخياً ومرتاحاً . عندما ترى ، فجأة ، جسماً طائراً مجهولاً . صف لنا ما ترى .

٢ـ تخيل نفسك أنك على متن ذلك الجسم الطائر المجهول . كيف تصعد عليه؟.

٣ـ تخيل أنك داخل الجسم الطائر المجهول . صف ما ترى هناك .

٤ـ تخيل أنك ترى الآن الكائنات أو الأشخاص على متن ذلك الجسم الطائر المجهول ، صفهم لنا .

---

(١) جريدة أخبار الحوادث عدد ٢ من نوفمبر ١٩٩٥ .

(٢) خالد حامد العرفي : «مثلث برمودا» دار البشير للنشر والتوزيع ـ القاهرة ١٩٩٤ ص ٧٧ .

٥ـ تخيل أن هؤلاء الأشخاص يقومون بإجراء فحص فيزيائى عليك . صف ماذا يجرى عليك .

٦ـ تخيل أنك تستقبل نوعاً من الرسالة ممن هم داخل ذلك الجسم الطائر المجهول. ماذا تتضمن تلك الرسالة ، وكيف يتم تبليغها إليك ؟ .

٧ـ تخيل أنهم يعيدونك إلى المكان الذى كنت فيه قبل أن ترى الجسم الطائر المجهول . كيف تصور ذلك المحل؟ . وما شعورك ؟ .

٨ـ تخيل أنه انقضى بعض الوقت على لقائك الجسم الطائر المجهول . هل هنالك ما يشير إلى أن شخصيتك أو وظائفك الفسيولوجية أو النفسية قد تأثرت بطريقة ما ، بسبب تجربتك مع الجسم الطائر المجهول ؟ [١] .

إن الأجوبة التى حصل عليها هذان الباحثان «**إلفيس لاوسن** و د. **وليام مكول**» كانت متوافرة فى الأسئلة المطروحة ، وشكلت إلى حد ما «محاكاة ساخرة» لعملية اختطاف من تلك التى يدعى المؤمنون بظاهرة الأطباق الطائرة أنها حقيقية .

والذى حدث هنا أن المنوم المغناطيسى ، هيأ الشخص لإعطاء أجوبة محددة وأوحى له مسبقاً بما يجب أن يقوله . وكانت الخطورة فى هذه التجربة تكمن فى أن الشخص المنوم مغناطيسياً يمكن أن يصدق أنه اختطف فعلاً فى طبق طائر .

★★ أوهام الذاكرة المفقودة :

لقد أثبتت الأبحاث التى أجريت فى تلك البلاد أن الغالبية الساحقة ممن قصدن المعالج النفسى طلباً للشفاء من الاكتئاب أو اضطرابات غذائية أو مشاكل عادية أو مشاكل زوجية ، وفى أثناء الاسترخاء على أريكة الاعتراف، كان المحلل يخبرهن بأن كل هذه المشاكل التى يعانينها منبعها حدوث اعتداء جنسى عليهن فى مرحلة الطفولة ، وأن عقدة الذنب الجنسية المترسبة فى أعماقهن لابد من الإفصاح عنها والبوح بها حتى يشفين من الاضطرابات النفسية التى يعانينها إنهم يربطون كل شئ بالجنس تماما كما فعل فرويد عندما تعرض للأحلام وتفسيرها ، فربطها بالجنس !! .

(١) أنتونيو رييرا : المختطفون من الفضاء الخارجي . مرجع سابق ج ٣ ص ١٨٣ - ١٨٤ .

ومع تشجيع المعالج النفسى – المزعوم – لهن ، على الغوص أكثر فى أعماق ذكرياتهن .

وخلال أشهر قليلة وبشكل درامى بدأت الأمور تسير فى مجرى مختلف، فقد بدأت أعداد متزايدة من النساء اللاتى استعدن ذكرياتهن المفقودة ورفعن قضايا تعويض على بعض الأفراد ، وتسببن فى سجن البعض ، فى العودة إلى وعيهن ، وأعلن وهن فى حالة شبه انهيار أنه لم يحدث قط أن اعتدى عليهن أحد جنسياً وهن فى مرحلة الطفولة ، وأنهن كن ضحايا للمحللين والمعالجين المزعومين الذين كانوا يتولون علاجهن . وقام عدد كبير منهن برفع قضايا تعويض عاجلة ضدهم ، كما طالبن بمحاكمتهم جنائياً . وقد كسب العديد منهن قضايا التعويض ، وبالطبع تم الإفراج عن الذين حُكم عليهم بالسجن من قبل .

★★ خيالات الأطباق الطائرة :

غير أن أمر الخيالات والأوهام الموحاة من قبل المنومين المغناطيسيين ، لم تتوقف عند هذا الحد . فقد قامت «**نانسى**» ـ وهو اسم مستعار لحامية فى إحدى مدن الساحل الغربى بالولايات المتحدة ـ بنشر قصتها وتجربتها مع أحد المعالجين النفسيين فى إحدى الصحف الواسعة الانتشار .

وتقول نانسى إنها بدأت تعالج نفسياً منذ عدة سنوات عند أحد المعالجين النفسيين بالمدينة ، وكان المعالج يتبع فى علاجها أسلوب التنويم المغناطيسى.

وبعد أن استمرت فى العلاج لعدة أسابيع ، استيقظت فجأة من نومها فى منتصف الليل لتجد «مركبة فضائية» على بعد قليل من نافذة غرفتها ، ثم هبط منها عدد من المخلوقات الغريبة اصطحبوها معهم إلى مركبتهم الفضائية ، وأخذوا يفحصونها كأنها حيوان غريب .. ثم قام أحدهم بإدخال أنبوبة داخل جسمها حيث حصل على بويضة من داخل الرحم ، ثم أعادوها سريرها وعادوا إلى مركبتهم الفضائية التى انطلقت بسرعة رهيبة واختفت فى ظلام الليل .

وبالطبع سخر الناس منها عندما أخبرتهم بحكاية الطبق الطائر ، ولم يصدقها أحد .. ولكنها لاحظت بعدكل جلسة علاج عند المعالج النفسى أنها كانت تشاهد الأطباق الطائرة ، واكتشفت بعد ذلك أن المعالج النفسى بعد أن يقوم

بتنويمها مغناطيسياً كان يوحى إليها بأن مخلوقات من الكواكب الأخرى ستقوم بزيارتها .

وتقول نانسى : إنها حتى الآن لا تعرف أسباب لجوء المعالج النفسى إلى هذه الأعمال الغريبة ، إلا إذا كان يقوم بإجراء سلسلة من التجارب عن تأثير الإيحاء عندما يكون الشخص فى حالة تنويم مغناطيسى .

وقد اعترف بعض المحللين النفسيين بأن بعض المنحرفين من زملائهم يلجأون لهذه الطريقة لإثبات نظريات يؤمنون بها ، وهؤلاء لا يختلفون فى شئ عن الذين يقومون بالإيحاء للمريضات بحدوث اعتداءات جنسية عليهن فى مرحلة الطفولة وطالبوا بوقفهم عن العمل ومحاكمتهم ، وخصوصاً بعد أن كثرت القضايا المرفوعة ضدهم حيث أدلى العالم النفسى «**جيرى شونر**» بالمركز الاستشارى **بمينا بولس** برأيه المهنى فى أكثر من ٢٠٠٠ حالة اتهام للأطباء النفسيين .

أرأيتم كيف يحدث الاختطاف والاغتصاب فى فترة الوقت المفقود ومن أين تنبع أساساً بعض الأفكار عن اختطاف كائنات فضائية لبشر يقعون ضحية للتنويم المغناطيسى ، ويبلعون دون أن يدروا الطُعم .. «طُعم الأطباق الطائرة» .

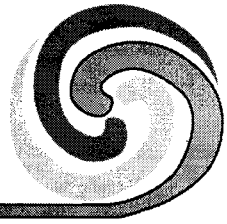

الفصل الرابع
أوهام العقل الجمعى

★★ الوجدان الشامل :

تفترض نظرية الوجدان الشامل أن عقول الناس تخضع جميعاً لوجدان شامل هو مصدر المعرفة ، وأن أى تغيير فى وجدان شخص يحرك تغييرات فى وجدان الآخرين. والعجيب أن هذه النظرية كانت فلسفية أو ميتافيزيقية أطلق فكرتها الفيلسوف الإنجليزى «**بيركلى**» كنوع من فلسفة وحدة الكون : «إن كل ما نراه من جمال فى الطبيعة إنما يقع فى عقل كونى يشملنا جميعاً » .. وقد اعتنق العالم النفسى الكبير «**كارل يونج**» نفس الفكرة وأدخلها فى مكان العقل الباطن وأسماها بـ «العقل الجمعى» أو «اللاوعى الشامل» ، ويعنى أن الإنسان يحمل فى داخل نفسه وفى اللاوعى ذاكرة أو أرشيفاً كاملاً لميراث الأجداد من معتقدات ومخاوف وأساطير قد تطفو على سطح الوعى ، وأحياناً تكون مجسدة لهواجس نفسه ، فيرى الأشباح ويسمع أصوات النداهة تملأ المكان .. كما أن اللاوعى الشامل يتجمع إذا اجتمع رهط من الناس على رغبة أو لهفة فيصاب الجميع بهلاوس جماعية **Collective Hallucintions** فترى أطيافاً أو تسمع أصواتاً مفزعة لا وجود لها .

أمثال هذه الأطياف ما يُرى فى ظاهرة الأطباق الطائرة حيث يعتقد جمهور من العلماء ، من بينهم «**روبرت هال**» إخصائى العلوم الاجتماعية بجامعة **شيكاغو** ، أن ظاهرة العدوى الهستيرية وراء مشاهدة الناس للأطباق الطائرة ، موضحاً أن مسألة رؤية هذه الأجسام تنتشر بصورة لافتة لأنها تدفع الناس للاعتقاد بأنهم شاهدوا كذلك ما رواه آخرون .. ويقول هؤلاء العلماء: إنه يكفى أن تنطلق شائعة بين جمع مزدحم تساوره الرغبة فى مشاهدة طبق طائر حتى يرى ما لا يوجد فى السماء فعلاً ولكنه التجسيد الحى للرغبة الفكرية العامة **Wishful thinking** التى أصابت آلاف الناس معاً فيجسدها خيالهم فإذا هى صورة تسقط على شبكية العين

وقد عكستها أساساً مخيلتهم كنوع من الإسقاط **Projection** المعروف فى علم النفس . ومن يلق نظرة على ظاهرة مشاهدة أطباق طائرة يجد أنها تعتمد على ظاهرة فلكية أو علمية ترى لمرة واحدة ثم يبدأ بعدها سيل الشائعات عن رؤى متعددة ، وهذا ما يفسر ظهور الأطباق الطائرة فى مواسم معينة تزداد فيها الأخبار وتكثر معها الأنباء عن رؤية الأجسام الطائرة مجهولة الهوية .

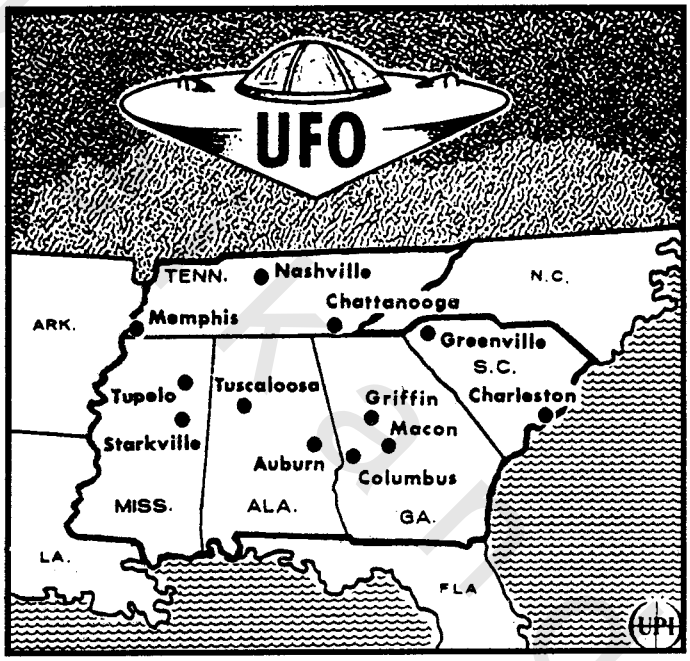

هوس الأطباق الطائرة لعام ١٩٧٣ والمناطق التي ظهرت فيها الأجسام والأضواء الغامضة في جنوب الولايات المتحدة في أكتوبر ١٩٧٣

وقد افتتح هذه المواسم السيد **كينيث أرنولد** عندما أعلن عن رؤيته ما يشبه الأطباق طائراً فى السماء فأعطاها هذا الاسم الذى عرفت به فأصبح عام ١٩٤٧عام الأطباق الطائرة وبعده هدأت الروايات إلى أن بلغت ذروتها عام ١٩٥٢ ثم عام ١٩٧٣ . وما إن حل عام ١٩٧٩ حتى أصبح بحق عام الأطباق الطائرة من كثرة ما ظهرت هذه الأطباق خلاله حيث ظهرت فى يناير فوق الدوحة عاصمة قطر وحلقت فوق مدينة صور بلبنان وهبطت بالكويت ، وفى نفس العام هبطت فى جنوب إفريقيا كما هبطت ٣ كائنات منها فى كولومبيا ، وظهرت فى سماء الأرجنتين ، ثم حلقت فوق شيلى فى أبريل ١٩٧٩ والفلبين فى مايو من نفس العام، وتسبب طبق طائر فى شهر يوليو ١٩٧٩ ظهر فى سماء العاصمة البرتغالية

لشبونة فى قطع الإرسال الإذاعى .. وبعد أن خبت الحكايات عدة سنوات عادت للظهور فى الاتحاد السوفيتى عام ١٩٨٥ حيث حدثت بعض الظهورات لها .

بيد أن عام ١٩٨٩ كان بحق عام الأطباق الطائرة فى الاتحاد السوفيتى فكثرت الروايات وانتشرت الشائعات وتبارى الكثيرون فى وصفها وادعى آخرون أنها طاردتهم وذهب صحفى روسى إلى حد الادعاء بأنه أجرى مقابلة صحفية مع بعض المخلوقات التى كانت على متنها .

وما أن تخمد الظاهرة قليلاً حتى تعود لتطل عام ١٩٩٤ بالولايات المتحدة الأمريكية فى شكل أكثر إثارة بل أكثر درامية حيث زادت أعداد ضحايا اختطاف الأطباق الطائرة للبشر ، وفى يوم ٢٨من أبريل ١٩٩٤ نشرت مجلة «**إيفيننج تايمز**» أن أكثر من ٦ آلاف أمريكى أكدوا اختطافهم من قبل الكائنات الفضائية وصعودهم للفضاء داخل أطباق طائرة ..

وبعد نشر هذا التحقيق سردت أعداد كبيرة تعرضها لهذه الظاهرة وزاد عدد المختطفين من آلاف إلى عدة ملايين فى أنحاء الولايات المتحدة حسب آخر استفتاء قامت به مجلة «**أومنى**» الأمريكية [١] ، مما يدل على أن الأمر غالباً ما أخذ شكل الشائعة النفسية أو البصرية .

وبعض علماء النفس يقول : إن هناك أنواعاً مختلفة من الشائعات .. هناك شائعة صوتية وهناك شائعة ضوئية أو مرئية . وقد اعتدنا على خلق الشائعات ونشرها.. وهى عادة تبدأ بملاحظة ، وتتحول الملاحظة إلى حكاية ورواية ، ولكى يقنعك إنسان بصحة الشائعة يقول لك : أنا سمعتها من فلان.. هو الذى قال ولم يقل لى أحد سواه . ومعنى ذلك أنها صحيحة وأنك يجب أن تصدقه . وهى شائعة قوية .. وهناك شائعات ضوئية أو مرئية ، وقد رأينا جمهور النادى الأهلى يؤكدون لبعضهم البعض أن برج القاهرة يميل وأنه يوشك أن يقع .. وفزع الناس .. والحقيقة أنه لم يمل ولا هو مهدد بالوقوع .

وحدث فى أمريكا أن أعلن أحد اللاعبين فى أثناء مباراة (كرة القدم أن الأرض قد خارت تحت قدميه وأنه لا يستبعد أن يجد نفسه فى فوهة بركان ..

(١) جريدة أخبار الحوادث عدد ٢ من نوفمبر ١٩٩٥ .

وتوقف اللعب .. وهرب اللاعبون والجمهور ، ولم يفكر الناس لحظة واحدة فى معنى ما قاله هذا اللاعب .. هل من الممكن أن يكون بركان تحت الأرض ليس له اهتزازات أو دخان ؟! وهل هذه منطقة براكين أو زلازل ؟! .. لا شئ من ذلك ، وإنما صدقوه وتأكدوا فعلاً أن مقاعدهم اهتزت من تحتهم وأنهم رأوا اللاعب قد اختفت ساقاه حتى ركبتيه ، والحقيقة أنه لم يحدث أى شئ من ذلك [١] .

★★ هستيريا الإغماء الجماعى :

ولكن هل يمكن أن يكون الوجدان الشامل من القوة بحيث يحيل الشائعات الصوتية أو البصرية إلى حقائق ؟ هل يمكن أن تصنع الهلاوس النفسية أطباقاً طائرة دون أن تكون هنالك أطباق طائرة فعلاً ؟

إجابة هذا السؤال يقدمها علماء النفس الذين تصدوا لتفسير ظاهرة الإغماء الجماعى التى انتشرت عام ١٩٩٣ بين طالبات مدارس محافظة البحيرة ومنها انتقلت إلى محافظات كفر الشيخ والإسكندرية والشرقية والإسماعيلية ومنطقة شبرا بالقاهرة وهى ظاهرة سبق أن انتشرت بكل من فلسطين والولايات المتحدة الأمريكية .. ولنستمع معاً إلى قول علماء النفس فى تفسيرهم للظاهرة بعد أن جاءت تحاليل المياه والهواء والطعام سلبية :

ـ«إن ظاهرة الإغماء والدوخة الجماعية التى ظهرت فى بعض المدارس ببعض المحافظات حالة نفسية تنتقل بالإيحاء ساعد على انتشارها وانتقالها النشر الإعلامى الواسع الذى صاحب ظهورها ، والشائعات التى انتقلت للمدارس وبعض المحافظات» [٢] .

ـ«حالات الإغماء بين الطالبات تعود لإصابتهن بحالات نفسية تطورت إلى حالات هستيرية انتقلت بالعدوى من طالبة إلى أخرى» [٣] .

ـ«فوجئ الناس بأخبار المرض الغريب الذى يصيب البنات فى مرحلة الدراسة الإعدادية والثانوية والذى تتلخص أعراضه فى الإغماء المؤقت وبعض حالات القئ .

(١) أنيس منصور : مواقف – الأهرام ٣١ من ديسمبر ١٩٩٣ .
(٢) د. محمد راغب دويدار – وزير الصحة السابق – الأخبار عدد ١١ من أبريل ١٩٩٣ .
(٣) تقرير اللجنة الصحية بمجلس الشعب – م . س .

تضاربت الآراء فى التشخيص واعتبره العامة مرضاً غامضاً غريباً مجهول السبب مما استدعى اهتمام مختلف الأجهزة الحكومية والعلمية المعنية للوقوف على أسباب وتشخيص وعلاج هذا المرض الذى انتشر بصورة وبائية ، وقد استقر الرأى العلمى على اعتباره ما يسمى بالهستيريا الجماعية .

ويستغرب الكثير من الناس مصطلح الوباء أو العدوى فى الأمراض النفسية ويصابون بالدهشة كيف يمكن لمرض نفسى أن ينتشر بمثل هذه الصورة الوبائية ، وفى أماكن متفرقة . والواقع أن الطب النفسى يعرف ما يسمى بالعدوى النفسية ، وهى انتقال المرض النفسى من شخص لآخر دونما الحاجة إلى وسيط عضوى . وهناك ثلاثة أمثلة معروفة فى الطب النفسى :

أولاً : الانتحار الجماعي : وهو انتحار مجموعة من البشر فى نفس الوقت ولنفس الهدف ...

ثانياً : الذهان (الجنون) المشترك : وهنا تشترك مجموعة من البشر (يشكلون مجتمعاً أصغر وسط المجتمع الأكبر) فى الإيمان بفكرة مريضة خاطئة متسلطة غير قابلة للتصحيح أو التعديل أو المناقشة ....

ثالثاً : الهستريا الوبائية : يبدأ هذا المرض بأن يصاب أحد أفراد مجموعة (مدرسة ـ قرية ـ مصنع ...) بأحد الأعراض ثم تنتقل الأعراض من الشخصية المؤثرة التى بدأت المرض إلى بقية الأفراد من خلال ديناميات التقليد والتقمص والإيحاء الجماعى بشكل سريع ومتلاحق . وأشهر هذه الأعراض هى الإغماء المؤقت والقئ والحركات اللاإرادية والبكاء غير المحكوم» [1] .

وبعـــد ..

إذا كان الإيحاء النفسى والهوس الجماعى يمكن أن يقود إلى أمراض عضوية ، فلماذا نستبعد أن تكون ظاهرة الأطباق الطائرة لا تزيد على كونها فى معظم الحالات نوعاً من الهوس الجماعى ، بمعنى تخيل بعض الأشخاص لرؤية شئ ، وانسياق الناس وراءهم لتصديق هذا التخيل الكاذب ؟! أنا لا أستبعد ذلك ! .

(١) د. مصطفي رياض آدم : مدرس الطب النفسي بجامعة القاهرة – مقال بجريدة الأهرام عدد ١٢ من أبريل ١٩٩٣ .